وردة بنت شربات

عبدالباقى المغُربى

١- اليتامى

هناك فى زاوية الجبانة بجوار الباب الخلفى لها كما اعتاد هؤلاء الأطفال الثلاثة يأتون فى الزيارات ويسكبون كل زجاجات مياههم على تلك التبة التى تخرج منها الشجرة ويلعبون حولها بعدما يلامسون فروعها ويحتضنون جذعها ،وكأن الشجرة تبادلهم الأحضان فترفر أغصانها وتتألق أوراقها فتتساقط الذابلة وتبرز مكانها المورقة ،طوال خمس سنوات لم ينقطعوا عن هذه الزيارة كل جمعة يأتون للمقابر مع الآتين من أهليهم فان كسل الأهل أتوا مع الناس وإن لم يأتى الناس كانوا معا عند تلكم الشجرة ،منذ ثلاثة أعوام كانت أعمارهم تتفاوت ما بين العاشرة للبنت الكبرى والتاسعة للابن الأوسط والخامسة للأصغر،لم يضايقهم أحد أو يمنعهم عن زيارتها إلا جدتها وكانت دائما تكره مكوثها وأخوتها عند تلكم الشجرة ،وكانت قد حفت بجدار منفرد يتسع لمكوث ولهو هؤلاء الأطفال، وذات أسبوع أتت الجموع الزائرة وشدهم تعامل الأبناء مع الشجرة فقد لاحظوهم لأول مرة يدخلون محرولين إليها وطول أجسادهم جميعا يعلوا على جدار مدفنها كما لم يكن من قبل ويحتضنون الشجرة بحنو وتترقرق الدموع منهم جميعا ،وفوجىء جمعهم بأنهم يرفعون صبيا لأغصانها ويحتضنونه معها وبجوارهم سيدة تسقى الشجرة وتزم الماء حولها وتحسو من التراب الندى على جذعها ، وهناك بعيدا عن المدافن فى أول زاوية من الجبانة امرأة أخرى جالسة كأنها عجوز بلغت مائة عام لا ترفعها قدميها عن الأرض كأنها كسيحة وهى التى لم تتعدى الثلاثين إلا بقليل فتحاملت على حائط الجبانة الخارجى وصرخت :

- دا هوا وتصرخ وتندب وتململ وهى تحثوا التراب على رأسها
- ماذا بك يا وردة ..هكذا صرخت فيها أمها

وتجمعت النسوة حولها خشية أن تكون لدغت أو عاودتها حالة الهياج التى أنتها منذ ثلاث سنوات يوم أن أتاهم الآتى بخبر وفاة زوجها السابق ودفنه بلا علمهم كم كان قد أوصى ، فهى آخر مرة قد رأته قبلها بسنتين ونصف، يوم أن كانت زوجته لحظة أن

عايرته بفقره وإنعدام حيلته وقلة رزقهم وطالبها بالرضى وأن تحمد الله على ستره وأنه رزقهم من النعيم ثلاثة أطفال ولكنها كفرت بالزوج وبالنعمة التى وهبها الله لها وتمنت عليه بقول أمها :

- لو كان الحظ أعطانى من الرجال من يتحايل على الدنيا ويعبىء لى من أموالها وكنوزها وليس برجل محدود الرزق قانع بحاله ،وزجرها لآخر مرة أن تترك قول أمها بعيدا عنهم ولا تستمع لها ولنسوة سيئات مثلها ،فسبته ولعنته وأتت أمها وكالت له الإهانات أمام أبناءه فصفعها وابنتها لأول مرة ،وأمرهما بمغادرة البيت وقامت الزوجة بإيعاز من أمها بتطليق نفسها منه وألا تبقى بعد اليوم على ذمته ولملمت أشياءها ،والتى كأنّها أعدت منذ بعيد للحظة كهذه وأخذت أبناءه ورحلت بهم وشدتهم هى وأمها شدا مؤلما من أذرعهم ،فقد كانوا أحنّ إلى أبيهم ولكن غصبوا على تركه . وعادت بها الذكريات يوم أن رفعت قضية تطليق على زوجها وفيها أبلغ محامى الزوج هيئة المحكمة بأنه طلقها منذ خروجها من البيت وأنه أودع بخزينة المحكمة نفقات المؤخر والنفقة وأثبت لهم المحامى أنها أخذت حاجياتها وذهبها وقائمة منقولاتها على يد أجراء جلبتهم أمها بعيد تركها منزل الزوجية ،فأثبتت المحكمة حصولها على كامل حقوقها وأسقط فى يدها وفشلت حيلة أمها أن تهينه وتسقيه من كاسات الذل ،وسقطت مغشيا عليها فأفاقوها ونادوا على أبناءها فما استجابوا لهم ولا راعهم حالتها ،فقهرت وأغشى عليها مجددا ،فجلبوا لها سيارة وحملوها للبيت وتناسوا الأبناء الذين كأنهم تهللت نفوسهم لمغادرتهم جميعا وتركوهم لأول مرة مع الشجرة .

فاستمتعوا بالمكوث بجوارها وأخرجوا مأكولاتهم وفاكهة وزعوا أكثرها على من أتى من صبية القبور وأهدوا بعضها لزوارها وأبقوا لهم قليلا جلسوا بجوار الشجرة يأكلونها مع السيدة وابنها ،حتى غربت الشمس واستئذنوا فى الرحيل على ميعاد اللقى القادم واحتضنوا الصغير وأوصلوهما ثم عادوا إلى بيتهم وهناك وجدوها مطروحة على الفراش تصرخ فى النسوة تطالبهم بجلب أبناءها ولكن لم يهتم أحد لصراخها

- هاتولى أولادى سايبينهم ليه هناك

- هاتلوا أولادى هى الست دى أمهم اللى قاعدين معاه ولا أنا

- هم قاعدين معاها وسايبينى أنا ،أيوه هوا أكيد بعد خمس سنين عرفته، آآه يا قلبى القاسى كان هناك من أول يوم وما علمت أنه هو .

وتتسآل جميع من حولها عما أصابها وأنهم سئموا منها ويتطيرون من رؤيتها كل يوم لولا المال الكثير الذى كان يرسله إليها طليقها كمصاريف لأبناءه فتستولى عليه أمها وتفرّق عليهم من ملبوسات وثياب وأساور زينة يرسلها الأب لابنته وأخوتها ثم أصبحت وصية عليهم بعد موته فأخذت تغرف من أموال حساباتهم التى أودعها لهم أبيهم فى أحد البنوك بعدما جبره الله ووسع رزقه من محل شارك به صديقا له

- هى إيه اللى جرالها لما شافت الست هناك مع أولادها ؟ واستعجبت النسوة ولم يفهم أحد السر ،فلما أتى الأبناء وقفت بنصف جسدها لتسبهم وتلعنهم ولكن لسانها انخرس ،ودخل الأبناء وتركوها مع أمها ثم عادت إليها البنت بكوب من العصير وحبة مسكن أخبرها الطبيب سابقا أن تعطيها لها إن أتتها حالة صداع مزمن أو تنميل بالأطراف أو توقف عن الكلام :

- خذى وتتذكر دائما والدها وهو يقول لهم راعوا أمكم مهما عملت فقسوة قلبها دى ورث من أمها ..فترفضها منها ولكنها تغصبها بوضع الحبة فى فمها وسقياها بعدما أمسك بها أخيها الأوسط ورفع لها رأسها ...ثم يضعون لها رأسها على مخدة خشنة جلبتها لها أمها وأخذت منها الوثيرة عندما رفعوها لتتناول الدواء

- أنا رأسى بتوجعنى من المخدة دى وإنت لسة شباب تستحملى ...فتنظر لها ابنة ابنتها بغيظ فهى التى خيطتها ووثرتها لأمها من قطن وقماش حرير أرسله صديق أبيها من محله للأقمشة،ثم نظرت لأمها

- أدى أمك !.اللى بعت بابا وطردتيه علشان تسمعى كلامها ..وتتركها وتذهب

- سامعاكى يا بنت الكلب ...تصرخ فيها أم أمها

- بابا طول عمره كان أصيل بس يا خسارة وقع فى عيلة .(...)ولم تكملها

- بنت لمى نفسى على المسا ،والله أسقيكى من الذل كاسات ، وكانت تلكم الجدة من نساء قاسيات القلب عذبت ابنة ابنتها ولم يمر يوما إلا وأهانتها فيه وسبتها بأبيها .حتى شبّت البنت وبدأت تأخذ بحقها وحق أبيها وعاملتها بنفس قسوتها وأحاطت أخويها بحبها وحمايتها بعدما كادت جدتها أن تستعبدهما إذلالا لهم ولأبيهم.

وراحت تلك المرأة الشاحبة تتذكر أيامها وكل فترة ينتفض جسدها من ألم الفهم المتأخر ،فعندما نهرتها أمها بتمارضها وأخذت منها الوسادة الحريرية الموثرة أعادتها لأيامها الأولى بعد زواجها فقد كانت دائمة التشاجر معها وتتحين كل فرصة لاستدعائها وتحضها على المكوث لديها حتى فى أيام عرسها ،فها هى تتذكر كيف نظرت إليها أمها ثالث يوم من زواجها وقد ارتفعت ثدييها أكثر مما كانتا مرتفعتين وتوردت خدودها وشفاهها بلا طلاء وشعرت بتكسر ضلوعها من شدة إتيان زوجها لها وأجبرتها على حكى كل لحظة قضتها معه وبتفاصيلها وتساءلت بعد كل تلك السنين

- هل أمى كانت تغار من سعادتى، إنها بالفعل كانت تصرّ على تعكير حياتى مع زوجى ،وهنا اكتشفت الحقيقة المرة بعد كل تلك السنين لقد انتبهت للحقيقة متأخرة جدا وأخذت تردد :

- أمي كانت منجذبة لزوجي كرجل، إنها غلطتى منذ البداية كنت استشيرها فى كل شي حتى العلاقة الخاصة ،وكان جهلاً منى ،ولكنها كانت تلح لمعرفة كل شي عن علاقتنا الزوجية ،وبعد ذلك كانت تتعمد المكوث معنا فى البيت وقتما أروى لها أنه يريدنى بشدة فى هذه الليلة وكانت أوقات تحسدني ،ولاحظت عندما أخبرها أجدها مندمجة ليس كأم لا بل كإمرأة وكنت اسألها مابكي فتتلعثم وتغير الموضوع ، بعد ذلك لاحظتها تسأل كثيراً عن زوجي وتريد أن تعرف كل شي وتهتم له أكثر مني، أكثر من ابنتها وكانت دائماً تحضر لنا المأكولات السمينة وكنت أخبرها بماذا قال زوجي عنها وأنى ورثت كل الجمال منها وتفرح ،وأصبحت تبالغ لأجل أن تجد كلاما جميلا من زوجي فأصبحت

أقلق لأني ألاحظها تميل له ولا أدري الحقيقة وكانت ترسل لزوجي فى حاجيات تافهة، إنها كانت تستفرد به ولكنه دائمًا ما كان يهمل إجابتها بعد مرتين أو ثلاث ذهب إليها فإذا امتنع عن الذهاب أتت إلينا وأشعلت بيننا الخلافات ،كيف أنا البلهاء لم الاحظ ذلك لقد كان يصرّ على عدم مكوثها فى البيت أو استماعى لنصائحها وحذرنى مرارا من البوح لها بأسرار علاقتنا ، وحتى عندما نخرج كانت تصر للخروج معنا و لاتريد لأختيّ المتزوجتين أن تعرف عن خروجتنا أبدا ،وتهددني أنه لو علمت أختيّ ستتضايقان لأنها تهتم بى وبزوجى دونهما ودائماً ما كانت تمدح شكل زوجي رغم أنه ليس جميل وتقول من منظورها أنه أجمل من زوجيّ أختيّ، رغم أن زوجي أبدا ليس بوسيم وأقل من أغلب الرجال شكلاً لكني لم أشك أبدا بها وأنها تميل له فكيف كنت سأعرف ؟ كما أني حاولت أن أخفف زياراتي لها لكنها كانت تبادر بزيارتى والمكوث معنا كما أنها كانت حين تراني سعيدة بعض الأوقات بسبب زوجي تقوم بقول قصص سلبية وتشحنني وعندما ارجع تحدث مشاكل بسبب كلامها وقصصها ،وتقول كل الرجال عبيد لأمهات زوجاتهم ،وكيف أنني كنت غبية لدرجة عدم فهم حركاتها الغير الطبيعية أوقات مكوثها ببيتنا ..وبدأت تصرخ فى نفسها :

- يا خرابى.. وأخذت تضرب نفسها وكيف أنها تغابت عما فعلته يوم أن أنجبت ابنتها فبعد الأربعين يوما من الولادة – أتى زوجى كعادته كل عدة أيام حاملا ما يلزمنى والمولودة فأصّرت عليه بالمكوث بالبيت ،والمبيت وكيف أنها هيأت له أطيب الطعام وفوجئت بزجاجة بيرة فى المنزل أرسلت أحدهم منذ أيام لجلبها بدعوة استخدامها فى تحسين معدتى بعد خلطها ببعض العصائر كما أفهمتنى أنا الغبية ،ولكنها بدلا من ذلك سقتها كاملة لزوجى بعدما بدأ مفعول حبوب المنشطات يسرى فى عروقه والتى وضعتها له بالأكل وهو الذى تظهر عليه علامات الإشتياق لامرأة تروى شهوته فله خمسة أشهر لم يمارس فيها الجماع منذ حجبتنى أمى لديها رغما عنى وعنه، وهاهى أغلقت علىّ حجرتى وأخذته لسريرها الذى نسيته منذ زمن وتلك الأصوات التى سمعتها فى منتصف الليل

وابنتى تبكى بجوارى ولا أستطيع تركها ،كانت أشبه بأصوات المستمتعات بالجماع وضربت نفسها كثيرا بشبشبها الذى التقطته من الأرض وكيف أنها لم تستوعب كل تلك السنين أن أمها أغوت زوجها وأسكرته حتى عاشرها معاشرة زوجية كاملة ،فإذا أصبحت كانت امرأة متوردة الخدود ناهدة الأثداء تطير من المتعة والبهجة ،والزوج استيقظ من نومه بلا وعى وكان كحالته ليلة أن يفيق من غشيانى، جسده مرخى عينيه هادئتان يديه ضعيفتين وصرخت صرخات متتاليات كلما تذكرت كل موقف أرادت أمها الإستفراد بزوجها دونها وكيف أن زوجها منعها من زيارتها أو أن تأتى هى إليهم ولكنها كانت تصرّ ،فلما امتنع عن المكوث فى البيت إن جاءت تحججت أنه يكرهها ويكرهنى ،لقد تذكرت كيف كانت أمها تتلص عليها وهى غارقة فى متعة الفراش مع زوجها وتجبرها على عدم إغلاق باب حجرتها من الداخل بحجة ملاحظة ما يفعل زوجها بها لحمايتها ،وهنا تذكرت كيف كانت أمها تعذبها وهى صغيرة وتصرّ على مكوثها معها ولا تغادرها بعدما تركتها أختيها بعد زواجهما وكانت هى الصغرى وأحلاهم والجميع كان يعاكسها إن رآها فى أى مكان سواء بمفردها أو مع أمها وكثيرا ما كانت تضربها ضربا شديدا بلا سبب إلا أن طفلا مدح جمالها أو أطلق صفيرا لها ،حتى صارت البنت تحكى لها عن كل شىء من رآها ومن عاكسها ومن مشى بجوارها ومن تحسس جسدها رغم أنها كانت فى الثامنة من عمرها وكثيرا ما تبعتها إلى المدرسة الجديدة لقرية غرب السكة رغم أنها لا تبعد عن منزلهم إلا شارعين جانبى وخلفى ثم كوبرى الترعة ،ظلت كذلك حتى بلغت الخامسة عشرة وأغلب أيام المدرسة الإعدادية منعتها عنها ولم تعد تخرجها من البيت حتى قبيل وفاة أبيها منذ سبع سنوات فائتة ،وبذلك صارت البنت ظلا لأمها تفعل ما تقوله بلا تردد بل إنها منعتها من التفكير ،وهى التى اختارت لها هذا الزوج من عديد تقدموا لها فقد خبرت حاله جيدا كان ملتزما لا يبوح بسر ،جسده ممشوق بكامل قوته لم ترى فيه نقيصة الشباب من تفريغ شهواتهم ،لذلك اختارته لابنتها أو بالأحرى لنفسها ،وأسقطته فى حبائلها منذ شهره الأول فى الزواج ففى ليلة شتوية مظلمة طويل ليلها راقبته يمارس الجماع بزوجته بقوة وشبق

حتى ناما من إرهاق الشهوة فتسللت تحت الغطاء وأرقدت نفسها بجواره بعدما خلعت كل ملابسها وكانت تعلم من ابنتها أن أول الليل يجامعها مرة ثم ينام فيستيقظ منتصف الليل ويكمل بشدة أكثر من الأولى ،وطالبتها هذه الليلة أن تتركه بعد فترة الجماع الأولى لكى تستريح ،وكانت هى البديلة فلما استيقظ ليلا ظنها زوجته فأخذها كما اعتاد وقلبها على أجزاءها وأجنابها فإذا ما أفاق قليلا ولاح نور الفجر على النوافذ تعرف عليها ولكنها ما تركته وأخذته بين أربعها وراح يحاول الفكاك ولكنها أمكنت نفسها من جسده حتى أثارت جسده فبعث فيها شهوته .

وكانت هى قد استيقظت بلا وعى ورأت طيف أمها تحت زوجها ولكنها أوهمت نفسها بأنه حلم وعادت أدراجها بعدما ذهبت للمرحاض وعادت وألقت نفسها على سريرها وغاصت فى نوم عميق وتذكرت كل ذلك وكيف أن أمها هى التى كانت تعد الطعام والشراب فى شهور زواجها الأولى،وأفاقتها الذكريات فقامت على قدميها وذهبت لأمها وسحبت منها الوسادة الموثرة وأخذت تسرد لها الذكريات ،فردت الأم فى برود شديد بضحكة خبيثة على تلكم البهاء :

- روحى يا حبيتى نامى شكل الحمى مأثرة عليكى
- أنا مش محمومة أنا كنت عبيطة
- دلوقتى اللى فهمت ؟!وقفزت من سريرها وأمسكت رأسها بشدة من شعرها
- طول عمرك كنت هبلة وعبيطة ،جمال على بقرة طول عمرى بأحسدك ، ليه ربنا عطاك كل الجمال دا بلا عقل وتمنيت أنه أبقاه لى
- أيوه جمالك دا منى أنا أنتى سرقت جمالى من يوم ما جئتى ضاع جمالى وكل يوم تكبرى تزيدى جمال وأنا قبحا ،الكل كان يقبلك منذ شهورك الأولى، وأنا الكل يبعد عنى بعد ما كنت محط أنظار الجميع، كلهم كانوا يحسدون أبيك على جمالى ..وخلفت أختيك ولم تكونا جمليتين لقد أخذتا عقل وملامح أبيهما ،إلا أنت أخذتى جمالى كله منى

،وكان لازم أتمتع بجمالك بدلا منك وكل الرجال اللى اتقدمولك كانوا طمعانين فى جمالى اللى فى جسمك ولا واحد فيهم كان ممكن اطمأن على سرى عنده بعد موت أبيك ولكن أحمد الزين كان أرجلهم واخترته من عشرين راجل واختبرته فوجدته لا يفشى سرا أبدا ، كتوم فيه سر الرجال من قوة وشهوة ،وأنتى كنتى غبية بلهاء ،الكل يقول عليكى جمل وفيك حلاوة الغزلان ،عارفة ليه خلتيك تتطلقى منه علشان ما تتمتعيش لوحدك بيه ،أنا دقته بدل المرة خمسة وكل مرة كنت بأسكره أو أضع له الحشيش فى الشاى أو الأكل المخصوص له لغاية من نفسى راحت ليه وهو فايق ،فلما علم هجرك وهجرنى وكل المراسيل التى أرسلها كان يصمم على تركك لى لوحدى، والناس كانت فاكراه عاوز يبعدك عنى لا أحد كان عارف سرى ،آه الغبى لو استمع لصراخ جسدى كنا عشنا متهنين ولا حد كان عرف ولا درى ،وكنت عارفة أنه مش هيقدر يبوح لحد بالحقيقة حتى ليكى أنت

- يعنى أنت السبب فى كل مشكلة كانت بيننا ؟

- أيوه والذى زادنى حسدا وحقدا أنه أعطاك بعد البنت ولدين .

- ما أتاك بدل الواحد اثنين وثلاثة وأنت اللى رفضتى

- رفضت علشان مافيش واحد كان ممكن يروى شهوتى ،آه لو أتونى قبل ما أتذوق جسد زوجك كنت وافقت ،دا ربنا عطاك نعمة زوج كان خسارة فيك أنا ما حسدت أحد على حاجة إلا أنت على زوجك .

وهنا امسكت البنت بقصبة رقبة أمها وأخذت تضغط بقسوة وبشدة وحاولت أمها الفكاك فلم تستطع وفوجئت بهذه القوة فى يديها والتى ما عهدتها فيها ،فطول عمرها قبضتها هينة وراحت تصرخ وانكتم صوتها إلا من فحيح خرج فسمعت بنت ابنتها وأتت ورأت ما تفعله أمها ،وفرحت فرحا شديدا فكثيرا ما تمنت لو فعلتها بها ،فهى كثيرا ما عذبتها وحسدتها على جمالها ذلك وحملقت الجدة فى حفيدتها .

- أنقذيني... فأسرعت الحفيدة وغلّقت عليهم الحجرة والجدة تخبط قدميها بالأرض ،وأخذت أخويها وانطلقت للسيدة الأخرى تجلس معها وبقيت لديها ثلاثة أيام حت أتاهم الآتى عندما ذهبوا عند الشجرة :

- أنتوا فين إحنا بندور عليكم من ثلاثة أيام ،جدتك ماتت وأمك بتقول أنها هى اللى قتلتها ،وهنا انزعجت أم الطفل فلقد روت لها أنهم هربوا لأن جدتها أتت لها بعريس ،وطالبهم الآتى بالمرور على ضابط النقطة ،وذهبوا إلى الضابط فترك كل ما بيده واستقبلهم :

- أنتوا كنتوا فين ؟ ومين دى ؟ودا مين ؟أنا عرفت أنكم ثلاثة بنت وولدان

- هى إيه الحكاية يا حضرة الضابط

- مين حضرتك هل أنت قريبة لهم ؟وإيه حكاية الشجرة اللى كل جمعة تروحوا تقعدوا عندها ؟ ثم أشار لهم بالجلوس على أريكة بجوار بعضهم وللسيدة أمامه على كرسى ثم تحرك لمكتبه ورن جرس الساعى وطلب لهم عصائر

- ثم توجه للسيدة وسألها أنت علاقتك إيه بالأولاد دول ؟ وهنا تكلمت الابنة وأجابت

- حضرتك دى زوجة بابا الله يرحمه

- زوجة بابا ؟! فردت السيدة :

- آه حضرتك أنا زوجته الثانية ودا ابنى وأشارت لأصغر طفل فيهم

- ثم أتت الفتاة وجلست على الكرسى الآخر أمام زوجة أبيها ،وانضم الأولاد لبعضهم على الأريكة وبدأوا شرب العصائر التى أتتهم

- بس لا أمك ولا الجيران قالوا عن الموضوع دا شىء

- ماهى ماما وأشارت للسيدة زوجة أبيها

- ماما؟

- أقصد أم محمود عايشة فى الجهة الأخرى من المنطقة بعد السكة الحديد

- وإيه حكاية الشجرة ؟!

- وبعين مغرورقة بالدموع حاولت الفتاة الإجابة فسبقتها أرملة أبيها

- دا قبر المرحوم أحمد الزين زوجى ووالدهم

- قبر المرحوم أحمد الزين ؟أنت متأكدة ؟

- طبعا يا فندم ،واستعجب الضابط فقد أخبر أن والد الأطفال غادر إلى بلدة أخرى ودفن هناك ولا يعلم أحد بالتحديد قبره.

- هوا بالفعل كنا عايشين بعيد بس لما جاءته الوفاة دلنى على شريكه وصديقه بمحل الأقمشة الذى كان قد أوصاه بشراء هذه القطعة من الأرض بجوار الجبانة القديمة التى يدفن فيها الأموات بلحد وليس بوضع جسده ممدا بجوار آخرين كما فى مدافن المدينة ،وأنه ما إن تأتى وفاته قبل أن يبلغ أبناءه ،يدفنه هناك ويزرع حولها شجرتى جميز ونبق ثم أمره بإخبار المقربين منه فقط عن مكان دفنه ؟

- ليه ؟

- لأنه اتظلم كتير من كل الناس كان طيب القلب لا يرد أحد أو يرفض لشخص طلب ،لكن أكثر اللى كانوا عاملين أحباب وأصدقاء خانوه فى ماله فكان الله يرحمه مش عاوزهم يوم ما يتوبوا أو تدور عليهم الدنيا،ثم يعرفوا قبره لأنهم سيذهبون إليه وسيتسمحونه طالبين المغفرة وربما ردوا إليه أمواله عند قبره كصدقات على روحه وهو كان لا يريد أن يغفر لهم حيا أو ميتا .

- وخبى على طليقته وناسها كمان ؟

- أيوه حضرتك دا اتظلم منهم ظلم الدنيا كلها ،،ثم توجه للبنت وسألها :

- أنت ماتعرفيش سبب طلاقه لأمك ؟ فردت واستعجب مندهشا جدا من ردها :

- لو سمحت قول وردة بنت شربات ،وأشارت لأرملة أبيها ودى هى اللى ماما ،فالتفت إلى السيدة مستعجبا وقد أمسكتا يدى بعضهما

- مش فاهم ؟ فردت الأرملة

- ماعلش حضرتك بس الموقف صعب وممكن يكون مأثر عليها

- فأومأ برأسه :ماشى بس اسألها سؤال واحد

- أمك ثم سكت أو وردة بنت شربات بتقول أنها خنقت أمها ؟

- أكيد دا كان لازم يحصل من زمان ،شربات دى هى سبب طرد بابا من بيته ،شربات دى كانت حربايه مش ست ولا أم ولا جدة .

- لا لا الحكاية كدا محتاجة حد معانا بصوا أنا هأسيبكم دلوقتى وتأتونى غدا يكون حضرة وكيل النيابة موجود وكمان نستدعى أحد الأخصائيين الإجتماعيين ،أكيد أنتى فاهمة ،وتوجه للسيدة بقوله فأمّنت على كلامه

- دا أحسن وأفضل

- اتفضلوا وما تنسوش معادنا بكره ،وقامت البنت وأخذت أخوتها ثم تبعتها زوجة أبيها ،ثم أردف

- ريم هل ترغبين فى رؤية أمك؟

- لا وهزت رأسها بشدة

- تمام اتفضلوا ونادت على زوجة أبيها

- يالا يا ماما ونظرت له وكأنها وجمت له الكلام ففهم واستعجب الضابط وأسرع للهاتف وطلب وكيل النيابة ثم أحدا آخر وبدأ يحكى له ما سمع ثم أكد عليه بإحضار اخصائى إجتماعى

- والأفضل لو كانت طبيبة نفسية لأن الموضوع كله هيكون متعلق بالمتهمة وبنتها،،ثم أغلق الهاتف .

٢-الدّمنة

وأتت الفتاة متأخرة مع أمها الثانية فأدخلت غرفة التحقيق ،ورأت أمها الأولى لأول مرة منذ زمن ،فتوقفت قدماها برهة ثم جلست بعدما دفعتها أمها الثانية بيدها ،وهنا التفت الأم الأولى إليها ورمقتها بنظرة حادة ثم وجهت ناظريها لابنتها وسألتها :

- من هذه؟

- فسكت الجميع ونظرت الطبيبة النفسية إليهما بترقب والآخران الضابط ووكيل النيابة باستعداد للتدخل إن ثارت وحاولت خنق إحداهما وكانت يديها مرخيتان على رجليها ولكنهما مشدودتان قليلا بحبل ربطتا به حول ظهرها ،فسألها الضابط :

- ألم تعلمين أن زوجك السابق تزوج بعد طلاقك منه ؟

- وتزوج هذه ؟ ومطت شفتيها بسخرية وقارنتها بنفسها فهى طويلة ملفوفة الأفخاذ عريضة الصدر ناهدة الثديين مليئة اللحم كأنها نحتت بيد فنان على ما يشتهيه الرجال ،وألبست فى هذا اليوم عباءة قطنية خضراء لها ثلاث أزرار جعلت ثدييها واقفتين وقد ملتتها كلها بجسمها وشعرها الأسود الحريرى متدلى من حول طرحة عريضة لفت بها رأسها ،أما تلك فكانت متوسطة الطول تلبس عباءة سوداء خشنة قليلا وحول رأسها حجابا أبيض سميك إلى حد ما ،وإن كانت تتدلى على صدرها سلسلة ذهبية لامعة تحمل كلمة قل أعوذ برب الناس والجهة الأخرى الكعبة المشرفة ،ثم هزت رأسها:

- أحمد الزين كان يستاهل أحلى من كدا ،وهنا احتضنت الفتاة زوجة أبيها وقبلتها على رأسها ،وترقب الكل أن تثور الأم على ابنتها ولكنها لم تفعل

- وإنتى كمان تستحقين أم أحسن منى ثم أراحت جسدها للخلف على الكرسى ،وبعد برهة فوجىء الجميع بها ترطم رأسها سريعا وبقوة فى خشب المنضدة ،ففزز الضابط وأمسكها من يديها ولحقته الطبيبة وفتحت سريعا شنطة الإسعافات التى أحضرتها معها وأخرجت على عجل شاش أبيض وسقط القطن على الأرض فطالبت ابنتها بجلبه

- هاتى القطن دا يا ريم ،ولكن البنت تسمرت فى مكانها وأخفت ناظريها فى الأم الأخرى فأعطاها إياه المحقق بعدما ساعد الضابط فى شد الخيط بيديها وثبّتها بالكرسى وهنا حاولت أم محمود مساعدتهم فزمجرت وهاجت بعدما كانت قد هدأت قليلا فتراجعت لمكانها واحتضنت ريم بصدرها وأغلقت عينيها

- اهدى يا وردة اهدى أنا معاك أى حاجة تطلبيها هانفذهالك هكذا خاطبتها الطبيبة ،ونظرت بعينيها وحملقت الأخرى فيها ونظرت لها ثم بدأت فى الهدوء وأخرجت الطبيبة حقنة مهدأة وأعطتها لها وانتظرو دقائق وهم ممسكون بها حتى أخبرتهم الطبيبة أنها ستهدأ ،ولم تكن قد تأذت كثيرا فجمجتها اتضح أنها جامدة إلا من جرح صغير فوق عينها اليمنى عالجته الطبيبة ووضعت الضمادة الصغيرة عليه ،وكان الدم قد توقف سريعا علامة على صحة جسدية تنفى عنها أية أمراض باطنية معروفة .وتركتها الطبيبة تسترخى على الكرسى ثم ذهبت لريم واحتضنتها ومسحت على جبينها وأزاحت عنه بعض شعرات حريرية ورثتها من أمها وأدخلتهم تحت الحجاب الأبيض الشفاف الذى ترتديه على فستان مورد بالزهور وورق الشجر .

- متخافيش مامتك هتكون بخير ؟

- أكيد عمرها ما كانت بخير زى دلوقتى، ثم جلست بجوارها بعدما لفت نفسها مكان زوجة أبيها التى بادلتها مكانها وجلست خلف ريم حتى تكون بعيدة عن ناظرى أمها

- إزاى ؟!

- هى كانت بتجيلها حالة زى دى من قبل ؟

- عمرها ...عمرها ما كانت بتأخذ أى موقف دايما كانت بتقول لمامتها حاضر ونعم

- مامتها !!

- أيوه دى حتى لما كانت أمها ..

- جدتك؟
- شربات الشريف . هكذا ردت الفتاة وأردفت
- عمرها ما كانت تحب حد يناديها يا جدة أو حتى يا ماما كان لازم نناديها باسمها
- هى جدتك أو شربات الشريف كانت مريضة بحاجة معينة
- بكرهنا
- بكرهكم ؟!وهزت الفتاة رأسها لأسفل ،وهنا اهتم الرجلان وأطفأ السيجارتين اللتين أخذا فى استنشاق دخانها على أريكة أخرى بإحدى الزوايا القريبة من المتهمة والمقابلة لها
- أنت وأخواتك بسبب أبيكم ؟ صح
- لأ
- كانت بتكرهنى أنا وهى ،وأشارت إلى أمها
- أنت ومامتك فرمقتها البنت بنظرة قسمتها بينها وبين الرجلين
- طب ليه وهنا فجأة جلست وردة وهى التى أجابت
- لأنها إمرأة سوء ، كانت بتغار منى ومن بنتى ،وهنا انفرجت أسارير الطبيبة فهاهى سوف تتكلم بعدما حاولت منذ ساعة استدراجها للكلام ولم تفلح فراحت تجلس أمامها
- شربات بنت سعود الشريف بتكره بناتها وبنات بناتها
- طيب ليه هوا فيه ست بتكره بناتها ؟
- أيوه شربات الشريف ، وكأن الحقنة بها محلول الذكريات المنسية

- أنا فاكرة دلوقتى كل حاجة أهو قدام عينيي وتشاور بإصبعها أمام عينيها
- أنا فى الطشت البلاستك كان عندى خمس سنوات وهى بتحمينى سامعاها وشايفاها بتحط إيديها على صدرى وصدرها ،وتقولى :
- آه يا بنت الكلب أنت أخدتى من حلاوتى وجمالى حتى بزازى المدورة ،وأصابعها حول فرجى فتسبها أختى الكبرى أن تتركنى ولا تفعل بى كما فعلت بها ،وبالأحرى تتحس أجسادنا وتحسدنا ،وتضربنا لأننا أخذنا منها ثدييها و أردافها ،وهنا تراها وتسمعها تقول لأختها :
- البنت دى أحلى واحدة فيكم خدت جسمى وجمالى كله سنة ولا اتنين وعرسانها هيوقفوا طابور وهنا تدخل عليها "نوال الغجرية" فى لباسها الأسود
- إزيك يا شربات بتعملى إيه
- بحمّم اللبوة الصغيرة دى ،ورأتها تحيط بثدييها الكبيرين على جسدها الصغير
- وهى جابت حاجة من بره ما كله من اللبوة الكبيرة ،وتجلس بجوارها تضع قليلا من الماء على جسد الطفلة ثم ثدييها وتركتهما لها الأم وجلست على مقعدتها فاتحة ساقيها
- اللى غايظنى إنها سحبت جسمى كله ،واتصب فيها غير البنتين التانيين يادوب أخدوا طولى وعيونى
- يا شيخة ومين تكره ،بكره تفرحى بهم وكل واحدة تروح لعدلها ،على سيرة العيون واحد شاف بنتك الوسطانية وعجبته وشكله كدا عاوزها لحد من أولاده
- الوسطى دى يادوب لسه بزازها بتكبر
- دى عزها وإنتى بناتك بتفور بسرعة
- مش لما نخلص شوار الكبيرة ، دا قدامنا كام شهر على العيد الكبير ودخلتها تتم
- يا ستى كل حاجة تيجى فى لحظة ،وشغل الحريم أنا هوطول عمرى تحت أمرك

- آه على السيرة عاوزة النهاردة حاجة غير كل مرة الراجل عينيه بدأت تبص لبره من يوم الفقرية دى ما جت ووجعت بطنى ووقفت حالى وأشارت عليها وهى تخرجها من الطشت وتمسح عنها الماء .

- وهى كان ذنبها ما أنت اللى كان نفسك فى الولد وأصبحت تطلبين دهانات مخصوصة ليكى وللراجل لغاية ما ..– وسكتت - يلا أحمدى ربنا أنها عدت على خير

- آه يا أم قرقر نفسى كانت فى ولد .

- نعمل إيه بقى فى الحظ اللى خلى جوزك يرجع فى الليلة إياها قبل ما تحطى الصوفة

- أهى كانت ليلة مشئومة ما جبتش غير الزفتة دى ،وعلى ذكر السيرة هى الصوفة كانت مليانة من مين وترددت الغجرية ،فلم ألحت بناظريها وأبصرت الفتاة على حجرها تمشط لها شعرها .

- يا ست الكل إحنا كلنا تحت أمرك وخدامتك أولى بخيرك من الغريب

- آه ....وعلمت أن المنى الذى كان بالصوفة من زوجها

- أنتوا عندكم كام واد النهاردة وبتردد بسيط وبعد أن أخبرتها أنها لاتحسدهم

- خمسة وشكله السادس فى السكة

- ما أنتى خبيرة ،وأكيد علمتى ضرتك تلقط كويس ...وكمان شكلك علمتى جوزك ،ولولا الحالة اللى عندك كنت غلبتيها بالعيال .

- يا ختى عليك ما أنا علمتك كل حاجة وأوصيتك أكثر من مرة

- أعمل إيه فى أبوالبنات اللى مش مطاوعنى،ولا حيله بيساعد.

- كل عقدة وليها حل .

- حل إيه بقى ،ما الرحم خلاص أدور وبقى على جنب زى ما أنتى وقريبتك ما أخبرتونى .

- ليها حل ما تقلقيش .

- إزاى –فضربت على أرداف الصبية – بعدما ربطت لها شعرها وأمرتها باللعب أمام البيت وحراسة باب الغرفة حتى لا يدخلها عليها أحد وأخرجت حاجيات إزالة الشعر من زجاجات عسل الحلاوة وقطع الصوف وزيوت بعدما حدّثت عدتها التى ورثتها من أمها عن جدتها ،وكانتا هما اللتين ترعيان أم شربات وقد طهرتاها الطهارة الغجرية الخاصة بهم فكانت أم شربات امرأة شبقة وأعطت نفسها للكثير من الرجال ،وبعدما أغلقت الحجرة وأنامتها وخلعت عنها رداءها العلوى والسلفى وبدأت تنظيف فخذيها وما بينهما أخبرتها بحاجتها لرجل ذو قلم طويل عريض يعرف كيف يأخذها على أجنابها ويقلبها بطنا على ظهر يمينا ويسار.

- إنتى بتقولى إيه ياأم قرقر ،إحنا صدقنا ما الناس نسيت أمى وأخواتها البنات وسيرتهم

- ما تخافيش لا حد هيعلم ولا يحس .

- ومين دا اللى ممكن يعملها من غير ما يتكلم

- ما قلتلك يا ست الكل إحنا كلنا خدامينك وتحت أمرك

- قصدك ؟

- أهو لا بيتكلم ولا حاجة –وتقصد زوجها الذى قطع جزء من لسانه يوم أن تفوه بقصة إتيانه امرأة الخفير منذ عدة سنوات بعدما أسكره بضعة من الشباب للتفوه بهذه الفرية زورا على الرجل دون أن يكون قد فعلها لخلافهم معه على معزة خسرها فى قمار لعبة الكوتشينة ،وإن كان قد أتى أغلب زوجاتهم هم بترتيب امرأته التى تتردد عليهم فقطع

لسانه وقتها فلما سمعت زوجة الخفير وشاعت عليها هذه الكذبة أتت به إليها عن طريق زوجته أم قرقر – حفّافة النساء- فجامعها وأتت لزوجه بابن كان ينتظره.

ثم صعدت لبطنها وملأت سرتها بخليط من زيت الزيتون والريحان والقرنفل وأخذت تدلك لها بطنها وفخذيها والأخرى تباعد بينهما حتى اقنعتها فاقتنعت وأخذت ساعة معها نظفت لها جسدها كاملا وأمرتها بضرورة أن يأتيها زوجها خلال هاتين الليلتين قبل ميعاد الآخر .

وكانت الأم كثيرا ما تنظر لثدييها اللتين تزبلان يوما بعد يوم وثديّ ابنتها اللتين تكبران وتنهدان فوق صدرها ،وأتتها الخواطر أن هذه الأثداء ملكها استلبتها منها تلك السارقة وتعاتب الله لأنه أعطاها هذين الحزمين مع الجسم والأرداف منها ولم يبقيها لها وكانت تعاين كثيرا تلك النظرة التى يختلسها زوجها لثديّ ابنته بعدما كان كل شغفه وفتنته تتركز فى ثدييها هى وتتألم :

- آه لو هذه الأثداء تعود لجسدى تكبر وتنهد من جديد وتعصر ثدييها وقد أتتهما خشونة من ترك زوجها مداعبتهما كما عودها دائما، أيكون كرهها واشتهى ثدي ابنته النابضتين البضتين وتأخذها الأفكار لو أمكن أن تقتطعها من صدر ابنتها وأبدلتها بثدييها ،وكلما كبرت البنت أحست بحسد أمها على جمالها وثدييها وأردافها وتلك العجوز الغجرية التى تكاد تلتهمها من القبل والأحضان ،وما إن تعلم أمها منها بذلك تأخذها جرا على الأرض وضربا بالعصى على كل جسدها

- يا بت ما تخليش حد يلعب فى صدرك ولا يمسك جسمك

- وأنا أعمل إيه فى أم قرقر اللى انتى عوديتها تمسكنى المسكة دى

- آه يا بنت اللبوة ،وتقطع شفتيها بأسنانها وهى تتذكر أم قرقر وهى تعبث بجسدها وقت تنظيفه وكيف كانت تعطيها متعة أخرى غير التى يعطيها لها زوجها وهى تمسك بقطعة الحلوى من العسل الأسود بعدما سخنته وجلدته وقلبته بزيوت مخصوصة

وتفرده على أجزاء جسدها من خديها وفوق شفاهها وجبتها وحول حلمات ثدييها وفوق وجانبى فرجها .

وبعدما هيّأت نفسها لزوجها وغشاها كما لم يغشاها من قبل فقد وجد ريحة جسدها نفّاذة أكثر مما كان ،وريثما أتت الليلة الثالثة وهى تعلم أن زوجها لابد مغادر لأسبوع يبيت فى حقول بلدة تبعد ثلاثة أيام عن بيتهم أتتها أم قرقر وزادت فى تزيينها وجليها وحفافتها،وكأنها تعاهدتها لزوجها بنفسها وإن كان الإتفاق بينهم كما علمتها أمها زعيمة الغجر أن تتحين كل فرصة لتتمكن من بنات العرب وأزواجهم حتى لا تستطيع إحداهم يوما رفع بصر عفتها فى وجهها وهكذا ورثت من أمها وجدتها فعلهم الآثم وخسيستهم. ثم تركتها فى غرفتها وأدخلت زوجها إلى مخدع الغائب ،ووجدها فى قمة شهوتها فالتقمها من فوره وإن كانت المرأة ظلت لحظات ترقبها والأخرى تبصرها برعشة الخوف حتى إذا ما ذابت من شهوتها وأولج الرجل فيها جميعه تركتهما ورحلت وأطفأت مصابيح سقيفة البيت وردت الباب،ولم تلحظ أن وردة مستيقظة وما إن لمحتها خرجت راحت تتلصص على أمها ورأتها غارقة فى سكرة المتعة مع الرجل ،ولمحتها أمها بعدما فتحت الباب قليلا ووقفت محاذية لها فلم تعرها اهتماما لأنها تعلم أنها لن تستطيع البوح لأى أحد كان ونهرتها بإشاحة من يدها أن تغادر وتغلق الباب وراحت تقلب نفسها للرجل ليتمكن منها بوضع آخر فما خيب لها رجاء واستمتتعت به.

- دا بتاعك أكبر وأطول مما قالت أم قرقر وأخذت تتأوه وتتلوى أسفله

وكان الباب الخارجى مفتوح قليلا فغلّقته الفتاة وراحت لتنام ،وفى الصباح أمسكت أمها التى كانت تحمى الفرن ظهر هذا اليوم .

- أنا شفتك إمبارح وأنتى بتت...وقبل أن تكمل ضربتها على خدها وردت عليها

- إنت كل يوم بتحلمى بحاجات يا هبلة طب أنا أصلا كنت نايمة جنبك وأنتى قلتي لى إنك عطشانة ورايحة تشربى ،ثم أمسكت جريدة كانت تقلب بها رماد الفرن من

أسفله لتضع مزيد من الأغصان فى النار المشتعلة وضربتها ضربتين موجعتين على ردفها وظهرها

- وتانى مرة لما تلاقينى أنا وأبوك آه أنا ومين فترد البنت وهى تبكى من شدة الضربتين والنار التى لسعتها من شعلة الجريدة .

- أنت وأبوى

- لما نكون أنا وأبوك نايمين مع بعض ما تفتحيش الباب علينا ولو كان مفتوح أقفليه وروحى نامى و هددتها وهى ترفع العصا المشتعلة

- وأوعى إنك تقولى لأى حد.. أى حد لما شفتينى مع أبوك على السرير ثم انهالت على قدميها لسعا بعدما أرقدتها أرضا ،بقطع من خشب مشتعل أخرجته من باطن الفرن وأخذت الفتاة تصرخ

- مش هأقول لحد حاجة .مش هأقول لحد حاجة .

- وإيه كمان

- مش ها ..

- لأ لأ

- آه ما افتحش عليكى الباب إنتى وبابا .

- وإيه كمان

- ولو لقيت الباب مفتوح أقفلوا عليكم

- وإيه كمان وهى تلسعها فى كتفها وصدرها فوق حلمتيها اللتين تكرههما

- وكمان وكمان ...ولم تعرف البنت ماذا كمان فأخبرتها

- وكمان لما تصحى تقولى لنفسك إن دا كان حلم ،لما شفت راجل هوا بابا كان مع ماما على السرير دا حلم دا إيه .

- دا حلم ...ثم تركتها .حتى تهدأ ثم أمرتها بجلب مقارص العيش المرصوصة والتى أعدتهم لها من باكر أم قرقر حتى ما إذا أتتها إحدى قريباتها أو جاراتها ورأت جسدها المنهك أخبرتهم أنه من العجن والخبز وإشعال نار الفرن وهكذا تعودت البنت منذ بصرت الدنيا ورأت أمها على سرير مع رجل أنه كان حلم .

وكانت تلك إحدى الذكريات التى مرت بذاكرتها وهى تجلس أمام الطبيبة النفسية التى تحاول استدراجها فى رواية ماضيها مع أمها ،فسمعتها تقول :

- وأنا الهبلة كنت فكراه طول عمرى حلم حتى لما شفتها ماسكة جوزى أكتر من مرة فى غرفتها وأنا كبيرة بردوا فضلت أقول لنفسى دا حلم ثم تضحك باكية وتغنى

- أمى كانت بتاعت رجالة وأنا الهبلة فكراه حلم ،شفت جوزى بين رجليها وقلت عليه بردوا حلم ،وأم قرقر كانت بتلعب ببزازى... أم قرقر آه يا أم قرقر وهنا تاهت الطبيبة ولم تدرى هل هى هلاوس أم إنها تقول جزء من حقيقة وأتت ممرضة فأعطتها الحقنة العلاجية ، ونامت على كرسيها فنقلوها إلى سريرها ورصدت الطبيبة حالتها وما قالته فى جانب خلفى من دفتر الملاحظات وقررت فى نفسها أنه لابد من الإستماع لأختيها وكذلك ابنتها .

٣- لقد كرهتها قبل أن تولد

وأكملت الطبيبة متابعة حالة وردة بنت شربات بعدما اكتفت النيابة بقرار الأطباء أنها تعانى من اضطرابات حادة فى العقل وإنفصام بالشخصية نتيجة تغيرات هرمونية وقرروا إيداعها المصحة العقلية بالقاهرة ،وأقنعت زميلة لها من دارسات علم الإجتماع لكشف خبايا الموضوع لأنها لأول مرة بنت تقتل أمها خنقا بدون سبب واضح ،وقررت أن تجتمع مع البنت الكبرى وذهبت إليها فى مسكنها بعدما استدلت عليه من تحريات ضباط المباحث ،وعندما قابلتهما ورحبت بهما وجلستا عندها وقبل أن تفتحا موضوع شقيقتها بادرتهما هى بالقول :

- كان لازم حاجة زى دى هتحصل من زمان ،فنظرتا لبعضهما بذهول !
- أنتم لا تعلمون أنها كرهت بنتها منذ شعرت بها فى بطنها وقبل أن تلدها
- كيف ؟
- حكت لى سابقا قبل أن أتزوج أنها كانت تعلم بنوعنا فى بطنها منذ الشهر الأول
- إزاى ؟!
- أصلها اتعودت من يومى أنا وبتعليم خبيرة النساء أم قرقر أنه لو بطن الحامل ارتفعت لأعلى وأنفها زادت حجمها للضعف كان الجنين بنتا بلا ريب فردت أخصائية علم الإجتماع
- لكن هذا أمر تم اكتشافه علميا من قريب ؟
- وقبل ما تحمل بوردة كانت غاضبة جدا يوم أتى أبى فجأة على غير عادته التى كان فيها يأخذ أسبوع أو عشرة أيام كعامل أجرى فى أراضى القرى المجاورة ،ثم فى ليلتها حاولت الهرب منه وكنت وقتها أنا بالتاسعة من عمرى وأرادت أن تنام بجوارى أنا و"أحلام" أختى الثانية التى كان عمرها سبع سنوات والتى أصابتها بسببها الإلتهابات بعد

ولادتها أوقفتها عن الإنجاب مدة هذه السنوات حتى أتتها أم قرقر ببعض الأشياء وبطريقة اعتادتها أعادت لها وضعها كامرأة ،وقد أرادت منه الإنتظار لعدة أيام بحجة أنها غير مستعدة ولكنه أصرّ لما علم أنه ليس بسبب الحيض وأخذها فيما يشبه العنوة ،وأنا وأختى تناعسنا وهى حاولت إيقاذنا فتعمدت الإستينام هذه الليلة. وفى صبيحتها تغيرت حالتها وغاضبته عدة ليالى وكانت ترسلنى كثيرا لأم قرقر والتى ذهبت إليها آخر مرة فقيل لى أنها سافرت لمدة أسبوع عند إحدى العائلات التى ستتزوج عدد من بناتهن و طُلبت هى وتابعاتها لخبرتهم فى أمور النساء فى مثل تلك الليالى

- لكن ما هو سبب غضبها الشديد من والدك ؟

- حتى عدة سنوات مرت لم أكن أعلم إلا بعدما توفى أبى بثلاث سنوات وفى إحدى زياراتى لها وكانت تستفسر منى عن علاقتى بزوجى وأبديت لها بعضا من أسباب خلاف بيننا لأنتى أردت التريث فى الإنجاب بعدما رزقنا بفتاتين فأخبرتنى فيما يشبه الإعتراف أنها كانت تعد نفسها لأن تنجب ولدا بعدما أتت لها أم قرقر بصوفة من شخص تعوّد إنجاب الذكور ،وهنا تعجبت الطبيبة النفسية وإن كانت قد أومأت لها رفيقتها برأسها علامة معرفتها بحقيقة هذه الطريقة من دراسات أعدت سابقا ولكن تساءلت الأخرى عنها

- إيه موضوع الصوفة دا أنا سمعت أنها كانت موجودة قديمابين النساءفأخبرتها صديقتها :

- الصوفة دى قطعة قماش صوف تغسلها امرأة مثل أم قرقر فى محلول من زيت ما أو ماء بئر معين لخداع النساء بأنها تزيل لها سحرا مربوط على فرجها ورحمها وفى الحقيقة أنها بعد أن تغمس فى الزيت أو البئر تذهب بها إلى رجل اتفقت معه يقذف فيه منيه ثم تلفها جيدا وتذهب بها للمرأة المنتظرة وتضعه بعد أن تقلبه فى فرجها فينتقل المنى إلى رحمها وقد يصادف أنها تحمل من هذه الطريقة فتنخدع أو ربما بعضا من النساء تعلم بأن زوجها لا يستطيع أن يصل لعمق مناسب فى محبلها وأخريات ربما أزواجهن قليلى ماء

الإنجاب فتستعيض بتلك الطريقة حاجتها للحمل وتظن فى نفس الوقت أنها لم تزنى ولم تخن زوجها ؟!

- وما علاقة ذلك بوالدتك فقد كانت أنجبتك وأختك ؟وجهت الطبيبية للأخت الكبرى هذا السؤال :

- هى كان نفسها فى ولد وبعدما أنجبت أختى أقنعتها المعلونة بأن أبى لن يعطيها غير البنات

- وهل كنت تعلمين أن أمك أو أم قرقر تفعل هذه الأشياء ؟

- أنا فى الأول لم أكن أعى ما تتحدثن عنه ولكنى بعدما كبرت قليلا وجالستهما ونساء أخريات بدأت أفهم إتفاقاتهم السرية وما يفضين به إلى بعضهن من أسرار أزواجهن وكانت بعضهن تعطى نصائح لأخريات بأشياء جربتها مع أزواجهن ومنها أن كثير من السيدات كن تأتين بأم قرقر لختان بناتهن قبل يوم زفافهن

- وهل كانت هناك بنات لا تختتن فى قراكم ؟

- بالعكس حتى يوم قريب ربما من عشر سنوات لم توجد بنت بلغت التاسعة إلا وتم ختانها ،حتى فى هذه الأيام يتم الختان سرا بأمر الأمهات

- ولكن ماذا تعنين بختان قبل يوم الزفاف وهل كانت بعلم أمهاتكم ولا كما سمعنا كانت عادة نساء الغجر مع بنات العرب؟

- نساء الغجر أو الحلب كانت لديهم طريقة أخرى للختان تجعل المراة أكثر شبقا ورغبة للرجل فلا تتمنع عنه فى ليلة الدخلة وخاصة إن كانت العروس من عائلة بعيدة عن قريتنا فقد كانت أم الزوج ترسل لها هدية وبضعة نسوة بينهن أم قرقر أو واحدة من تابعاتها وكأنهن يفحصنها قبل الزواج للتأكد من عفتها،أما فيما يتعلق بعلم الأمهات بصراحة لا أعلم وإنما الغريب أن نساء بعض النجوع أحبوا هذه الطريقة حتى أخبرتنى جدتى لأبى ذات مرة أن نساء عزبة الشريف قرقر كلهن أصلهن حلبيات وغجريات .

- ولكن لا تؤاخذينى فى هذا السؤال !هل كانت أم قرقر دى ست كويسة

- دى كانت ست ملعونة والذى لا تدرين به ولا يعلمه الكثير أنهن كن متعمدات أن يفعلن ذلك فى بنات الأشراف والعرب

- لماذا ؟!

- لأن جدتها الكبرى كانت إحدى نساء الموالد فى بحرى والتقى بها جد الشرفة وجالسها كثيرا حتى حملت منه ولكنه رفض أن يعترف بنسب الطفل ،فقتلت المرأة مع طفلها من نساء العرب التى كانت تعيش بينهم كى لا تجلب لهن سمعة سيئة فقررت نسوة الغجر النزول للصعيد بعد طردهم من هناك والإنتشار بقرية هذا الرجل وتحويل كل نساءهم كغجريات بهذه الطريقة فى ختان بناتهن حتى صارت الآن كثير منهم محترفات للدعارة كما تسمعون الآن .

- ولكن من أين جاءت تسمية عزبة الشريف قرقر وما علاقتها بأم قرقر؟

- لما أتت نساء الغجر كانت هذه العزبة منطقة مهجورة وزريبة مواشى وكانت تسمى كما أخبرتنى نساء عائلتى خرابة شرق السكة وأقامت بها ثلاث نسوة ورجلين وكانت إحداهن تسرح بين بيوت الناس كحفّافة للنساء حتى أمكنت نفسها لهذا الرجل الذى واقع قريبتها السابقة فلما حملت منه أنجبت ابنا ولم تخبره به ،ثم تكاثرت نسوتها وأهلها وبعدما كانوا يسكنون فى بيوت الخوص على أطراف القرية بجوار أراضى عائلة هذا الشريف ،أخذوا يبنون لهم بيوتا من طين ثم مرت السنوات وأصبحت بيوتهم نجعا كاملا فأطلقوا عليه نجع الشريف قرقر "ابن تلك السيدة من ذاك الرجل" فلما علمت أهالى القرى كادوا يفتكون بهم لتغيير مسمى نجعهم ،فتوسلت إحدى نساءهم لخادم الملك الذى كان يعمل فى قصره المقام بقرب النيل وكانت له معها ليالى أنسية كثيرة فصدر توجيه حكومى بإطلاق هذا الاسم رسميا على نجعهم وأدخلت إليه الخدمات وأهمها أن وضعت حنفية مياه أمام بيوت أهل هذه المرأة، فلم أتت الحرب وانشغل الملك والإنجليز بها قتل

الرجل ابنه من تلك المرأة فأقاموا له بنجعهم ضريحا ومقاما ،أما أم قرقر فهى إحدى نساء هذه العائلة التى اسمت ابنها الأكبر بهذا الاسم ويقال أيضا أنه من نسل أقارب ذاك الرجل وجدتها جارية من جوارى المماليك الذين هربوا على الصعيد قديما.

- نرجع بقى لحكاية وردة أختك وأمها ،وهنا أرادت الطبيبة استرجاع الحوار لأصل موضوعهم

- أنا كما أخبرتكم أن أمى كرهت هذا اليوم الذى أنجبت به وردة وكانت قد هيأت نفسها لإنجاب ولد ؟فلما أرغمها أبى على الجماع وحملت ثم علمت أنها ستنجب بنتا

- كيف ؟

- منذ أول شهر للحمل انتفخ أنفها وارتفعت بطنها من نصفها الأعلى والذى جننها فعلا أنها بدأت تظهر عليها آثار شيخوخة ومرض وحالة غريبة أنتها

- حالة غريبة ما هى ؟

- بدأت التجاعيد تظهر كثيرا بوجهها وكلما مر أسبوع على الحمل تظهر لها ندبات ودمامل على وجهها ،ويسود بياض بشرتها وثدييها ،وكنت أسمعها تقول لأم قرقر وأخريات أنها تشعر أن هذه البنت تأكل جسدها من الداخل ،وهنا أخبرتها امرأة أن ذلك أكيد بسبب مرض جلبه زوجها من تلك القرية التى كان بها أو ربما أنه عاشر امرأة مريضة قبل أن يعود إليها ،وهنا قررت التخلص من هذا الجنين وحاولت مرارا وتكرارا ولكن فشلت كل محاولات الإجهاض التى اتبعتها لها النساء ،حتى وجدتها يوما غارقة فى دمها ،فاستدعيتهم وأصعدوها لحجرة علوية أمروا أبى ببناءها لها خصيصا وبقيت بها حتى وضعت ،كى لا يرى تجاعيد وجهها أحد وما حل بها ،فلما اقترب وضعها تحسنت حالتها وبدأت التجاعيد تغيب عنها قليلا وتسترد بعضا من جمالها فلما أنجبت وردة فوجىء الجميع بفتاة غاية فى الجمال والبياض وكانت النسوة تسمينها العفريتة قبل نزولها من بطن أمها وكن قد اتفقن مع أمى على خنقها بمجرد رؤية وجهها القبيح كما كن ينتظرن أن يرينها كذلك ،فلما

أتت قرروا جميعا أنه من الجرم أن تموت فتاة بهذا الجمال واللطف ولكن أمى رفضت إرضاعها أو حتى أخذها فى حضنها وقرروا أن يرضعوها على لبن معزة حلوب جلبت لها خصيصا ،أولا لرفض أمى إرضاعها وثانيا ما أشاعته النسوة أنه ربما تكون ابنة شيطان شارك أبى فى جماع أمى أو بها مس ما .

- وهل كنتى وأختك أحلام تحبونها ؟

- فى البداية رفضت النسوة جلسونا مع أمى ورؤية أختى أو رفعها بأيدينا ثم بعد ثلاثة أشهر كنت أنا وأختى اللتين نرعاها

- وهل عادت أمك كما كانت ؟

- عادت قليلا ،بياضها أصبح باهت وانخفض ثدييها اللذين كانت تحسدها عليهما النساء وبقيت لديها أثر التجاعيد ظاهرة حول رقبتها ،ولكنى لاحظت أنها أصبحت أكثر شهوة فقد ازدادت زيارات أم قرقر لها وكنت أسمعها تتأوه وهما داخل الحجرة حتى أصبحت تطلب منها أن يأتيها الرجال ممن يرغبن فى امرأة ،وهنا استعجبت السيدتين .

- وهل كنتى تدركين كل ذلك ؟وهل رأيتها بعينيك ..ثم سكتت برهة وأجابت

- نعم كنت أدرك فبعد مرور سنة ونصف على ولادة أختى كانت أم قرقر تدعونى أن أحملها وأخذ أختى أحلام ونذهب عند بيت قريبة لها تلاعبنا مع بناتها وتهتم بوردة ،وهى ستعالج أمى مما بها ،وذات يوم احتاجت هذه المرأة لبعض الثوم فأمرتنى أن اذهب وآتى لها بفصوص من بيتنا فلما ذهبت وجدت رجلا يخرج من بيتنا ،ومن وقتها قررت مراقبتها فإذا أتت وأمرتنا بالخروج أعطيت وردة لأختى واختفيت تحت بساط السلم فوجدت أم قرقر قد أخذت أمى ودهنتها كما كانت دائما تفعل ،ثم طرق الباب وسلمت على رجل وأعطاها مالا ثم أدخلته على أمى ورحت انظر فوجدته راقدا عليها فخفت وجريت إلى أختى فوجدتها تجلس مع قريبتها فلما شاهدتنى كذلك أخذتنى بعيدا هى وقريبتها وأعلمتنى بأن أمى أصابها مرض ما بالرحم وأصبح يأتيها شىء يشبه الحكة فى

مهلها وأنها ستحتاج لأن يأتيها الرجال كثيرا وأن أبى يتغيب عنها ولم يستطع أن يساعدها خلال العام الذى مر منذ ولادة أختى ثم بدأتا تحسس صدرى وأخبرتانى أنه آن أوان زواجى وأننى سأعلم ما تقصدانه ثم نبهتا علىّ أن أحافظ على سر أمى ولا أخبر به أحدا. فلمّا مرت سنتين على ذلك كبرت أنا وأختى ووجدت أبى مغيبا لا يدرى بما يحدث فواجهتها بأفعالها :

- لماذا تفعلين بنا وبنفسك ذلك ، هو إحنا سمعتنا رخيصة كدا

- سمعتنا – بسخرية وتهكم- ،اسمعى يا حبيبتى أوعى تفتكرى نفسك بنت الشرفة صح دى حكاية إحنا ألفناها والناس نسيت أصلنا وصدقتها ،إحنا فى الأصل غجر تراحيل وجوارى مماليك ،وغجر التراحيل ليس لهم سمعة فيما بين بعضهم يعنى ممكن النهاردة أنام مع أبوك وبكره مع قريبه أو قريبى وهو عارف ولا يستطيع أن يغير شىء

- طب ما نعيش على السمعة اللى صدقتها الناس

- يا ماما دى أحسن سمعة أنك تكونى مرغوبة من كل الرجال شريفهم وكلبهم عربهم وغجرهم ،الست ليس لها عز من غير دول وأشارت إلى ثدييها وفرجها ،وأنتى خلاص كبرتى وهأجوزك قريب لكى تعلمين ما أقصد ،وهأنصحك نصيحة الناس كلها عارفة أصلنا وفصلنا يعنى مهما لبسنا وغيرنا من بيوتنا وحياتنا الناس عارفة ،الحاجة الوحيدة اللى ممكن تبدل الحال إننا نغوى رجال الآخرين يعنى حرب بينا وبين نساء الشرفة والعرب يا إما نفوز إحنا أو هم ودى وأشارت للأرض كانت أكبر حرب كسبناها إننا أخدنا اسمهم ولقبهم ونص أولادنا من صلبهم والأهم أننا جعلنا بناتهم بنات الحسب والنسب والأصل الشريف زينا بنات "قحيب"، ولم تمر عدة أشهر حتى زوجتنى برجل من القرية المجاورة .

- وجبتلك أم قرقر فى فرحك ؟

- لأ

- لأ ليه ؟ونظرتا لبعضهما بتعجب

- أصلوا احنا من أول خمس سنين تتم طهراتنا بالطريقة الغجرية لذلك لسنا بحاجة لختان جديد ،وهنا اهتمت أخصائية علم الإجتماع وسجلتها كملحوظة ثم سألتها

- أنتم بس ؟

- بس إيه ؟

- يعنى أنتم بناتكم فقط الذين يتم ختانهم ختان غجرى

- أيوه إحنا كدا من يومنا ، بس من خمسين سنة أو أكثر عودنا بنات الشرفة على الطهارة دى وسميناها طهارة السنة

- طهارة السنة ؟

- بعضهم دلنا على الاسم لكى نكسب أكثر وننتشر بين نساء القرى بشرط أنها تكون بطريقة معينة

- هلى تعلمين من هم هؤلاء ،وهل اتبعتم الطريقة التى أخبروكم بها ؟

- والله أقدر أقولك أنهم جماعة السلفيين

- جماعة السلفيين ؟!

- أيوه الجماعة دول اللى ذقونهم طويلة جدا وأشارت لنصف بطنها دلالة على طول لحية هؤلاء

- وهل اتبعتم طريقتهم؟

- بعض النسوة ،لكن أم قرقر وجدتها فرصة لنشر طريقتها بين النساء

- كيف تم ذلك ؟وكيف علمتى؟.. وتنهدت كثيرا ثم أردفت

- أصلوا يوم ما قرروا يزوجونى وكنت وصلت للرابعة عشر جاءوا لى بأحد أبناءهم من ذوى الذقون بعد توصية لأم قرقر بالبحث لهم عن فتيات صغيرات فى السن وأخبرتنى أن هؤلاء أكثر الرجال حبا للجنس والنساء وأنها لما تعرفت على نساءهم وعلمتهم طريقتها فى الختان أحبوها أكثر من طريقتهم التى يسمونها "السنة" لأنها تجعل تلك الفتيات الصغيرات شابقة وراغبات فى المتعة وقتما يطلبها الرجل منهم .

- وهل تزوجتى منه ؟

- لأ

- لماذا ؟

- لأن أبيه أرادنى أن أتنقب أنا وأمى وأخواتى

- أمك وأخواتك ؟!

- تتصورى أنهم كانوا عاوزين ينقبوا وردة وهى لم تكمل السابعة من عمرها ؟!

- وأكيد أمك هى التى أصرّت على الرفض ؟

- بالعكس دا أمى ضربتنى على عدم موافقتى وقد قررت أنها تتنقب وبالفعل فى المرة الثانية التى أتت نسوتهم لمعاينتى قابلتهم وهى منتقبة ،ثم أخبرتنى أنها فرصة لن تعوض فى السيطرة وتغيير أصلنا وربطه بأصول جديدة

- ولكن لماذا رفضت ؟

- لا أدرى ولكنى ظننت أننى سأصبح متعة لهم جميعا يبادولنى من رجل لرجل كما كنت أسمع أن من يخرج عن أوامرهم يكفرونه ويعطوا زوجته لرجل آخر منهم فقد عاشوا بيننا ما يقرب من ثلاثين سنة تكاثروا فينا كما تكاثرنا نحن فى البلاد وبين أهلها

- وهل انتشر آخرون معكم ؟

- فى الأول احنا اللى بدأنا ننتشر بين الناس بالذات وأن النجع الذى كان بجوارنا كانت بينا وبينهم عزبة النصارى وعشنا الأول منبوذين لغاية ما السنين مرت وأخذت الناس تستخدمنا

- تستخدمكم ؟

- أيوه أتتم عرفتم أننا كستات كنا اشتغلنا كحفّافات لنساء القرى يعنى نساعدهم فى التجمل وتنظيف أنفسهم بإستخدام الزيوت وحلاوة العسل والسكر ،أما الرجال فقد تم استخدامهم فى كلافة المواشى وتنظيف الأرض وكنت باسمع أم قرقر بتقول أنهم حاولوا يكونوا سقاقوة لما نزلوا الصعيد قبل دخول حنفيات المياه إلا أن هذه المهنة كان لها أهلها ورفضوا أى أحد يشاركهم فيها ثم تناسبنا مع هؤلاء السقاقوة ،أولا أخذوا مننا عدة بنات لجمالهن الفائق لأولادهم ثم بدأنا نتبادل التزاوج مع بعض ،ثم أخذنا رويدا رويدا نجمع المال ونشترى أرض من الناس اللى حالها ضاق وكرهت الأرض فكرهتهم،وفجأة لقينا وسطنا الجماعة السلفيين دول بدأو يسحبوا أولادنا ناحيتهم لغاية ما بنوا لنا جامع الشيخ قرقر

- الشيخ قرقر ؟

- أيوه ما دا كان لازم يحصل أصله بيوتنا اتجمعت وكبرت وهم استغلوها فرصة للإستفراد بجامع ملكهم دون أن يشاركهم أحد ،أو تتتبعهم السلطات.

- لماذا ألم يكن بقربكم مسجد؟

- احنا لما اتجمعنا فى أرض الخرابة كان أقرب جامع فى قرية غرب السكة وبينا وبينهم عزبة النصارى ولم يكن أحد منا يهتم بالصلاة ولم نسأل أنفسنا يوما أو يسألنا أحد ما ديننا حتى أتى هؤلاء فبنوا لدينا مسجد الشيخ قرقر

- وهل تصاهروا معكم ؟

- دول أول ما نزلوا بحثوا عن النساء وكانت فرصة لهم ولنا فأخذوا كثيرا من بناتنا الصغار كزوجات لهم ثم فوجئنا أن أغلبهم استجلبوا نساء كثر يقولون أنهم زوجاتهم من

أماكن أخرى وعند هذه اللحظة تحولت أرض المواشى والخرابة لنجع كبير يضمنا نحن الحلب الغجريين والسقاقوة وولاد دريعة

- ولاد دريعة ؟!

- بعد مدة يمكن عشرين سنة أو أقل أشاعوا بيننا أنهم بيت من قبيلة عربية مشهورة يسمون أنفسهم آل دريع

- يا ترى تعرفى الحكاية دى متى تمت ؟

- لا أعلم ولكن سمعت مرة من جدتى أم شربات أن نفر منهم اختفوا حوالى ثلاث سنوات أو خمس ثم عاوا بعد الحرب وأخبروا الجميع أنهم من نسل دريعة

- حرب إيه ؟

- حرب أكتوبر وهنا هزت الدكتورة سعاد رأسها كأنها تعلم حقيقة التغيرات القبلية والسياسية التى حدثت فى الجزيرة العربية بعد الحرب العالمية الأولى والثانية ثم التحولات الإجتماعية فى مصر بعد الحرب وخصوصا بدءً من سنة ١٩٧٥

- وهل تعلمين حالة نساءكم فى هذه المرحلة ؟

- فى هذه الفترة تقريبا أنا كان عندى سنتين ،ولما كبرت وجدت شربات وأم قرقر على ما وصفت لكم وأغلب نساءنا كن يعملن بهذه المهنة ثم تعددت بعدها أعمالهم فقد برعت بعضهن فى صناعة الجبن البلدى والذى تعلمنه من ترددهن على عزبة النصارى وإختلاطهم بأهلها وهم رجال ونساء خبراء فى زراعة الأرض ورعاية حيواناتها من جاموس وأبقار وغنم وكانت لهم شهرة واسعة جدا فى كل المركز خاصة أسواقه مما ينتجونه من سمن وجبن .

- وهل كانت أم قرقر تذهب إليهم فى بيوتهم ؟

- نادرا وغالبا كان بالطلب فى زفاف البنات

- وهل ؟ وهنا سكتت الدكتورة سعاد ،خشية أن يكون السؤال فى غير محله

- هل إيه ؟كملى سؤالك وأنا سأجيب بكل صراحة

- هو سؤال جانبى كان نفسى أسأله من زمان – ثم التفت إليها الطبيبة فاطمة – وهزت كفيها ورأسها مستفسرة ومشجعة لها– فقد كانت قد اتفقتا على طريقة جمع المعلومات خاصة تلك التى ممكن تساعدهما فى الدراسة الإجتماعية النفسية المشتركة التى تعدانها معا

- اتفضلى

- هما بنات النصارى كان عندهم ختان .

- وهنا ابتسمت قليلا وردت :

- كان فيهم قليل اللى بتمارس ختان البنات زى المسلمين وبالأخص بعد الزواج كنظافة لبعضهن أو تجملا لزوجها الذى ربما نفر منها لطول عشرتهم التى لا تنفصل وعلمت مرة من أم قرقر أنه طلبت فى دير راهبات وطلبوا منها الختان الإسلامى للمترهبنات الصغيرات ،فلما أخبرتهم بطريقتهم وهى ختان الغجر لجعل المراة أكثر شبقا وليس كبح شهوتها أصدرت رئيسة الدير توجيهات لكل نساء النصارى بعدم التعامل مع بنات الحلب الغجريات خاصة فى موضوع الحفافةوالختان .

- ثم فاجأتها الطبيبة النفسية :ولكن نساء الجماعة أهل الذقون ألم تشعرن أو تعرفن ذلك ؟

- بالعكس دا أول ما اختلطوا بنساءنا كانوا متطهرات ولكن لما تزاوج رجالهم ببناتنا وأعجبوهم وأرضوا شهوتهم أمروا نساءهم باتباع ختان الغجر فى أنفسهم وبالأخص البنات الصغار اللاتى كن يجهزنهن للزواج من شيوخهم وكهولهم وصارت طريقتنا هى المفضلة لديهم ،وأصبحت هى ختان السنة الذى يقصدونه وليس العكس .

- وهنا تعجبت السيدتان كثيرا جدا وفاجأتهم هذه المعلومة الجديدة !وأخبرتا أنفسهما أن لابد من دراسة متعمقة لسلوكيات نساء أهل الذقون وبالأخص سلفيي بنى دريعة ،ومنّوا أنفسهم أنها ستكون دراسة تقلب موازين الفكر والإعتقاد فى المجتمعات العربية والإسلامية ،واقترحتا عنوانا "الختان الغجرى وختان السنة ما بين حقيقة الواقع ووهم الإعتقاد " ثم عادتا للموضوع الأصلى عن وردة وأمها

- نعود لعلاقة أختك وردة مع أمك شربات ؟إيه الأسباب اللى ممكن توصل بنت تقتل أمها خنقا

- وهنا سكتت أزهار كثيرا ،وتحججت بأنها ستجهز لهم بعض المشروبات بنفسها ثم غابت قليلا وأتت إليهم بأكواب من الشاى ،وأثناء ذلك تبادلت الطبيبتان اعتقاداتهما بأن ربما يكون السبب اللى ذكر صحيحا وله أصل علمى وهو أن الأم أصابتها الحمى وتغيرات هرمونية وفسيولوجية لسبب ما ،ربما فيما يشبه بعوضة الماء التى تصيب النساء بالحمى إن لسعتهم ويأتى الجنين دقيق الرأس،أو ربما تعددت علاقاتها مع رجال نقلوا إليها أمراض معينة وقد يكون أحدهم زوجها ،وربما الأشياء والزيوت التى كانت تستخدمها أم قرقر معها والتى قد تكون تطورت لعلاقة نسائية مثلية ،فهى كما علما كانت بارعة الجمال وأن وردة قد خلقت على شاكلتها وقررتا أن يطلبن بعض المساعدة فى بحثهن من أطباء نفسية وسيكلوجيا وأمراض مخ وأعصاب،للوصول لسبب علمى يجعل امرأة تتحول إلى شبقة نزقة بهذه الطريقة وهل أحد درس سر العلاقة بين البنت وأمها وهى جنين فكل الأبحاث ركزت على علاقة الأم بابنتها أثناء المراهقة وميلهم لقول فرويد وعلماء النفس أن البنت تميل أكثر لأبيها وتغار من علاقة أمها به . ثم أنتهما بالشاى

- اتفضلوا

- شكرا تسلم إيديك

- أنا هاحكيلكم الموضوع كما عايشته :بعد ما عرفتكم أن شربات -وهنا لاحظت الطبيبتان أنها كأختها وردة يفضلن ذكر أمهم باسمها ويبتعدن عن قولهم أمى – أصابتها هذه الحال فى حمل أختى وردة وبعد ولادتها استمررت أنا وأختى أحلام فى رعاية وردة حتى تزوجت أنا من قرية غرب السكة وبعدى بعام تزوجت أختى بأحد السلفيين لما رفضت أنا زواجى بأحد أبناءهم واضطرت وقتها التعامل معها ورعايتها وكانت قد أسنّت وامتنعنا عن إرضاعها لبن الماعز وبدأت فى المشى وعند إحدى زياراتى بعد أشهر وجدتها ممسكة بها ،وبعصا من جريد النخل تضربها ضربا مبرحا وتقول لها قولى :

- الست شربات ...وأختى لا تفهم شيئا ولا تعرف من هى شربات فقد عودناها على قول ماما لها ولى ولأختى ،ولكن شربات كان يصيبها الجنون عندما تسمعها تناديها أمى وتناهل عليها ضربا –وهنا استعجبت كثيرا السيدتان فهذه أول مرة فى حياتهم يعلمون أن امرأة تكره أن ابنتها تناديها يا أمى.

- كلنا كذلك وليس أنتما فقط فقد كانت النسوة يقولون أنها أصابها مس سفلى من إحدى عشيقات تحت الأرض والتى تلبستها وجعلتها تكره ابنتها بهذه الطريقة

- وهل تركها أبيك معها ؟أو لم تتدخل إحدى نساءكم أو قريباتكم لأخذها ؟

- بل بالعكس كانت النسوة تسارع بأخذها منها وما إن تسمع إحداهما أنها معجبة بهذه الصبية وسوف تربيها ليتزوجها ابنها سارعت إليها فى بيتها وأخذتها منها عنوة وأجلستها يوما كاملا بلا طعام وما إن تتدخل إحداهن لإنقاذها منعتهم ،وتتحجج أنها هى التى لا تريد أن تأكل شيء فتضع لها الطعام أمامهم فتخشى أختى مد يدها إليه لا ربما ضربتها فإذا طمأنتها من حضرت لإنقاذها نهمت الأكل نهما وهى تنظر لشربات بعينين زائغتان،ومن ذاك العام أصبحت وردة تطاوع شربات فى كل ما تقول فقد أجبرتها لشهور طوال على تلك الحال، فما إن جاءتنى إحداهن تستنجد بى لإنقاذ أختى من أمها ذهبت مسرعة

فوجدتها تجلس بجوارها تمصمص قطعة خبز جاف بعد أن تغمسه فى ماء بكوب صدأ فلما حاولت حملها وأخذها معى فوجئت بها تصرخ عاليا

- يا ست شربات الحقينى العفريتة عاوزة تخطفنى ووجدتها تهرع إليها هربا منى وحاولت التقرب منها وأخرجت لها الحلويات التى كنت عودتها عليها صغيرة فوجدتها تقذفها بعيدا وهى تصرخ ..

- ممكن.. للدرجة دى ..مش معقول ؟وذهلت الطبيبتان مما سمعتا ولم تصدقا أن تصل حالة طفلة صغيرة من الخوف والقهر لهذه الدرجة،أن تصدق المجرمة التى عذبتها وتستنكر لأختها التى حنت عليها وربتها فى صدرها ؟!

- والأصعب من كدا أنى عدت لها يوما بعدما تخطت الخامسة فوجدت شربات ممسكة بها وبعود بوص مشتعل من الفرن أخذت تحرقها فى ثدييها وبين فخذيها وهى تقول لها

- ما تخليش حد يلعبلك فى دول يا بنت الكلب فلما أنقذتها ونهرتها عن ذلك شاتمتنى

- البنت القحبة سايبة العيال يلعبولها فى بزازها

- ماهى هتتعلم من مين ؟ من أمها ؟

- ما تقوليش أمها دى بنت عفاريت أيوة أنا بعد السنين دى عرفت اللى عملتلى السحر دا ووضعته فى بطنى وضربت فوق صرتها دى مش بنت بنى آدمين دى بنت عفاريت بصى بصى البنت بتبحلقلى إزاى ،وفعلا لما نظرت لأختى وجدتها تركز بصرها عليها وهى تبتسم وتقول لها :

- أنت غيرانة منى لأنى طلعت أحلى وأجمل منك وكل الرجالة هتجرى وراي وتنسى القحبة شربات ،وهنا أصابتنى حالة شلل مما سمعت ورأيتها تجرى خارج البيت وشربات خلفها لتمسكها وتحرق لها أجزاءها من جديد ،فلما لم تلحقها عادت لى

- أنت شوفتى البنت بتقول إيه ،دا ما بيأثرش فيها ضرب ولا حرق نار ،وهنا قفزت الإخصائية من مقعدها واعتدلت عليه غير مصدقة ما تسمع أما طبيبة النفس فسرح عقلها فى كل ما قرأت وتعلمت وأخذت تقلبه فى رأسها لعلها أن تصل لحالة مشابهة أو تفسير لذلك فلم تجد .

- وبعدها تركت لها المأكولات والحلوى وعلمت أنهما قد بدأتا تتأقلمان معا بطريقة ما وغريبة ،وتأكدت من ذلك بعد مرور ستة أشهر انقطعت عنهم ثم ذهبت لرؤيتهم فوجدتهما جالستان فى سقيفة البيت وظهرهما إلى حائط بسطة السلم ووردة تحكى لها كل ما رأته عند النساء اللاتى كانت تعلب أمام بيتهن ،وكذلك تخبرها بكل من أمسكها من ثدييها وحاول أن يضع إصبعه فى مقبلها،فجلست أمامهما ورحبتا بى لأول مرة وكانت شربات تطعمها فطيرا مغموسا فى لبن، ثم أخبرتها عن سحر وهى إحدى نساء نجعنا وكانت سمراء نحيفة الوجه والجسم أشبه ما تكون برجل والتى رفعت لها فستانها ونظرت لفرجها وتحسسته وتمنته لنفسها ،وأخبرتها بأنه أجمل وأدور من أمها شربات، وبعدما انتهت من أكلتها أتت إلى وسألتنى ما جلبت لها من حلوى فأخرجت لها كل ما معى وشربات تتفحصنى بنظرها فأخذت وردة منى ابنى الذى بدأ عامه الأول وحملته عنى وأخذت تلاعبه

- شكلك مبسوطة قوى مع جوزك ؟

- الحمدلله

- مافيش ولا مرة تجيبيه يسلم علىّ ونشوفكم ؟

- أهو أنا بمر عليكم كل فترة لكن جوزى لا ؟وهى تعلم فى قرارة نفسها أنّ أمها ترغب فى تذوق نكاحه ،وذلك من أول مرة زارتها فيها ببيت زوجها ومنعتها من زيارتها بعد ذلك ثم دخلت عليهم أم قرقر

- إزيك يا أحلام والله أحلويتى وأدورتى ؟وشربات تسمع ذلك وتكتم غيظها ،شفتى وردة وشربات بقوا سمن على عسل إزاى

- البركة فيكى يا أم قرقر " ترد عليها بتأفف واحتقار" بابتسامة ميتة

- ولا بركة ولا حاجة دا سحر كان معمول لأمك وأختك وانفك خلاص زى مانتى شايفة .

ووقفت أزهار لتغادر فقد كانت تكره جلسة هذه المرأة وطلبت ابنها من أختها فرجتها أن توصله معها فوافقت،وهما فى الطريق أخذت تسأل أختها فعلمت منها أن أم قرقر تأتى بالرجال لأمها مرتين فى الأسبوع ،وأنها تتحايل عليهم فتأخذها معها عندما تتفق وتخبرهم أنها ابنة شربات،فيعلم الرجال أن الأم لابد أن تكون أحلى ،وكانت تدخلهم عليها وإضاءة الغرفة خافتة فيستمتعون بشبقها كما لم يألفوه فى أى امرأة أخرى ،وكانت وردة تجلس بالباب الخارجى تلعب وتراقب الطريق لربما يأتى أبيها فجأة أو إحدى السيدات فتدخل على شربات وهى فى علاجها كما اقنعتها أم قرقر وأمها نفسها بذلك فصدقت البنت ما كان يقال ولم تعد تخبر أباها عن شىء بعدما أصبحت طيعة فى يد أمها ،وكانت سابقا تخبره فلا يحرك ساكنا ،وهما مارتان لمحتها إحدى النسوة المنتقبات وسلمت عليها وأخذتها بين أحضانها بعناق وقبلات فقد كانت صديقتها التى تزوجت من ابن السلفيين بعدما رفضته هى واتخذتا جانبا وراحتا تقصيان لبعضهما من شئونهما فأخبرتها المنتقبة أنها كانت على حق فى رفضها الزواج منهم فهم كالثيران الهائجة دائمًا فى حاجة للجنس ولا يلتزمن بأى شىء مما يشيعوه بين الناس من المنع والتزمت،إلا فى حضرة الآخرين الذين لا يعلمون سريرتهم وأنها كانت الزوجة الثانية له وأتت من بعدها اثنتين أخذ يبدلهن بأخريات

- وأنت ما فكرش يغيرك ؟وضحكت أزهار معها وهى تمّلس بيدها على وجهها بعدمارفعت نقابها

- يخرب بيت أم قرقر دا لولا اللى عملته معى كنت طلقت من أول شهر فهى الملعونة أعلم بهم وقد علمتنى كل طرق إمتاع الرجل خاصة من عينة هؤلاء وكل بنات الحلب مما تزوجن بهم لم يفارقوهم أبدا حتى أنه فى كثير من الأوقات وخاصة فى ظلمة الليالى الحالكة ربما جامع أحدهم زوجة أخيه أو أبيه

- لا للدرجة دى عندهم الحالة ؟

- وأكثر لو فيه فرصة سأعلمك الكثير ،ثم سألتها عن حالها وحملت قليلا طفلها الذى تركته أختها وعادت لأمها، ثم فجأة أخبرتها بضرورة ذهابها بعدما مر أحد ذوى الذقون المستطالة وتنحنح بجوارهما فأخبرتها :

- دا المعدول زوجى كان فى مهمة وأتى الآن ويريدنى،ففهمت أزهار أنه يريد جماعها

- الآن إنه ما قبل المغرب بكثير ،وعلى الملء ....

- أهو دا حالهم دايما .يغيبوا بالأسابيع فى مهمات دعوية وجهادية! ثم يعودون لنا

- ما هو أيضا جهاد ....ربنا يعينك ؟ وقهقهتا بصوت خفيض وتفرقتا على لقاء

وهنا شعرت الطبيبتين أنهما قضيتا وقتا طويلا فأرداتا إسراع الحديث وسألتاها :

- هل ترددتى بعد ذلك عليهما ؟

- لما رأيت الحالة بينهما قد أصبحت قريبة من الطبيعية ،كنت أذهب إليهما على فترات متفاوتة وبعيدة .

- وهل وجدت أى تغييير فى علاقتهما ؟

- الحقيقة أننى وجدت وردة أصبحت منصاعة تماما لشربات وكأنّهما صارتا امرأة واحدة فى جسدين ،ولم تكن وردة تخبىء عن شربات أى شىء بل حولتها إلى خادمة مطيعة لها بطريقة عجيبة وغريبة

- وهل استمر الأمر طويلا ؟

- ربما من هدوء العلاقة بينهما لم ألاحظ مرور السنين ،إلا يوما ذهبت إلى هناك ففوجئت بوردة تحولت إلى امرأة كاملة زاد طولها وامتلئت أردافها كثيرا واتسع صدرها وارتفعت أثداءها وتدورت وأحمرت وجنتاها كثيرا ،ففى ذاك اليوم قابلتنى بترحاب وتأنيب على تأخرى عليهم مدة تقترب من السنة وعندما حاولت عناقها وتقبيلها لم تتصل كلتى يدى لنهاية ظهرها كما كانت وهى صغيرة .

- عدت سنة وأصبحت فجأة هكذا بالسرعة دى

- ابدا بل إنها ربما ثمانية شهور أو أقل ولم تتعجب الأخصائية فقد رأت فى عدة بلدان وقرى،فتيات بالمرحلة الإبتدائية فاقت أجسامهم عن أمهاتهن وأقرانهن

- ألم تلاحظى شيء آخر على شربات ؟

- وجدتها فيما يبدو تعيسة بابنتها أو قولى جسد ابنتها وإن كانت قد استفادت كثيرا منها بتردد الرجال على دارهم لمحاولة استمالة هذه الفتاة بل إن كثيرا من نساء النجع رغبن فيها زوجة لأبناءهم بل إن السلفيين أصبحوا يتقاطرون على بيتها يوما بعد يوما خاطبين لها ومتدوددين لأمها وهى تتفحص كل شاب وكهل منهم فرفضتهم جميعا

- حتى جاءها زوجها على يد أم قرقر ؟

- نعم لقد كانت أوصتها أن تبحث لوردة عن زوج من عائلة قديمة من غرب السكة لديهم أرض زراعية وبشرط سرى بينهم أن يكون كتوما لا يبوح بسر، منقطع عن الصحاب فلمّا وجدته تحايلت على نساءهم حتى أقنعتهم بتزويجه من وردة .

- يعنى ممكن لو مؤاخذة فى السؤال ؟وسكتت الطبيبة

- اتفضلى أنا أخبرتك سابقا أنى سأجيب عن كل أسئلتك رغبة فى إنقاذ أختى ولكى يعلم الجميع ما فعلته شربات بنا وبابنتها والظروف التى نشأنا بها حتى يقتنع الكل بأننا بنات مجتمعنا الذى خرجنا منه وتربينا فيه

ثم أكملت الأخصائية السؤال:

- هى قصدها ممكن تكون وردة أخبرتنا الحقيقة فيما تقوله وترددده دائما

- صدقوا وردة فى كل اللى قالته وترددده ،فلا أحد اهتم به من قبل فهى الحقيقة كلها

- الحقيقة كلها ؟!

- حتى فى موضوع .....وسكتتا ولم تكملا

- أظن أنها الحقيقة أنا لم أرى وردة إلا قليلا بعد زفافها وفرحت كثيرا لها أن تزوجت شخصا من عائلة ،صحيح هم كانوا قليلى الشأن وربما ليست لديهم الأطيان الكثيرة ولكنهم محسوبين بين الناس من أفاضلهم ،وتمنيت لها ووصيتها أن تكون مثلى وتبتعد بزوجها بعيدا بالأخص عن شربات ،ولا تجعلها تتحكم فيها مرة أخرى فهى سوف تتحرر منها بالإبتعاد ،ولكنى لم أكن أتوقع أن تكون شربات سيطرت عليها سيطرة تامة لهذه الدرجة ،فأنا فى ظنى أن كل ما كانت ترددده وردة عن شربات وزوجها صحيح مائة بالمائة ،وهنا تيقنت السيدتان أن كل ما حكته وردة صحيح وأنهما أخطأتا عندما ظنتا أنها أعراض مرض نفسى وعصبى حاد وعليهما العودة لمتابعتها فى المصحة العقلية بعدما حكمت عليها المحكمة بالإيداع فيها إلى أن يثبت وعيها وحقيقة مرضها العقلى من عدمه فتقرر لها حكم الإعدام ،وللمتا نفسيهما وأشياءهما وشكرتا أزهار وتمنت الأخصائية أن لو كانت قد التقت بأم قرقر هذه فربما كانت ستأخذ منها أسرار إجتماعية خطيرة وهنا فاجأتهما بأن أم قرقر مازالت معمّرة وموجودة فى إحدى أحياء القاهرة الراقية

- معقول أم قرقر على قيد الحياة حتى هذه الأيام ؟! دى كنز لو كانت ما زالت بعقلها

- إن عقلها أصبى منى ومنكم وتتذكر كل شىء ودائما ما تبوح به والكل يظن أنها خرفة وتعانى من أمراض السن الطاعن فقد جاوزت المائة عام ، وطلبتا عنوانها فوعدتهما بالبحث عنه وإخبراهما بمجرد الوصول إليه ثم خرجتا من عندها وشاركتمها فى السير قليلا

حتى الوصول لأقرب طريق يجدون به وسيلة مواصلات تأتى من المدينة لداخل القرية ،وهى سيارات قليلة وتأخذ وقتا حتى تعود وتأخذ ركابا جدد ،ثم أومأت لهما بيديها تريهم قرية زوجها

- هذه كانت تسمى نجع العرب الغربية قرية من أقدم القرى وتلك النجوع وأشارت بعيدا ناحية الغرب جميعها من أهل البلاد أو يسمون أنفسهم عرب البلاد وبعدهم بقليل نجوع الأشراف وبعد هذه السكة -سكة القطار- يطلق عليها نجوع شرق السكة ،وهناك وأشارت لكنيسة مرتفع برجها عزبة النصارى، ومن بعد الترعة هناك كانت أرض خربة وزريبة لمواشى القرى يخروجونهم إليها فى الشتاء حتى تجف زرائبهم الأصلية أو داخل بيوت أصحابهم وأشارت بجانب آخر للنجع بحرى اتجاههم،ثم أتت السيارة وودعتهم وركبتا وعادت هى أدراجها وبدأتا الطبيبتان رحلة العودة فى صمت تام حتى نزلتا منها وأخذتا سيارة أخرى تقلهما إلى المدينة .

٤- سر النساء بين الأم وابنتها

جلست الأخصائية الإجتماعية بغرفتها تفكر فى موضوع وردة بنت شربات وما هى الأسباب الحقيقية للعلاقة بين الأم وابنتها كما حددتها الدراسات المختلفة وكانت هى لديها ابنة تتوسط ولدين ،زوجها رجل موظف متغير الحالة المزاجية مدخن ،مرة يشتيها كثيرا ويجامعها بقوة وعنف ،ومرات طريقته عادية وثالثة متعب لا يجاريها فى متعتها وتعتبره ككل الرجال المصريين، زواجها كان تقليديا تعارفامن خلال ترددده على مصلحة الشئون الإجتماعية لاستخراج معاش شهرى لأمه عن زوجها المتوفى منذ فترة تبعا لما استحقته بعد تغيير قوانين المعاشات وسمح للأرملة بكامل معاش زوجها بعد بلوغ الأبناء وزواج البنات ،وكانت هى مستجدة فى الهيئة منذ سنتين ،فلما ارتاحا لبعضهما تقدم لها ووافقت وسارت حياتهما سعيدة حينا ومتقلبة الأحول بعض الوقت حتى ملئت بأبناءهم وصارت الحياة أشبه ما تكون روتينية ثم قررت استكمال درساتها الجامعية وسجلت بالماجستير بعد إنجابها ابنتها ،وتقدمت لإحدى المعاهد فألحقت به كمشرفة ثم انتقلت إليه كمعيدة جامعية ،وتوسمت فى ابنتها حسن الطالع ،وأخذت فى هذه اللحظة تفكر كيف يمكن أن تسير العلاقة بابنتها وهاهى الآن تتجاوز التاسعة ،فراحت تقلب فى مكتبتها الصغيرة عن تلك الدراسات التى تربط تلك العلاقة بأسباب منطقية فوجدت أمامها كتابا عن دراسة لأسباب الصراعات النفسية لدى المرأة فجلست على الكرسى وأمسكته جيدا وراحت تتصفحه فتوقفت عند عبارات معينة بدأت تضع أسفلها خطوطا جديدة فوق الخطوط القديمة التى كانت خطتها سابقا وأهم ما فيها :

"ربما لا يكون مرضا يستدعى العلاج ربما يكون شيئا طبيعيا تشعر به كل النساء بسبب الدورة الشهرية أو ما يسمى عرفا بالمرض الشهرى (الحيض) أو بسبب الحمل أو الولادة أو بسبب تغير الجو أو الموسم أو بسبب التقدم فى العمر أو لأى سبب آخر

وإذا عرفنا أن أغلبية أطباء النفس في مصر رجال، وأنهم لا يختلفون كثيرًا بحكم التربية والتعليم والدين والعرف عن الرجال الآخرين من حيث نظرتهم إلى المرأة، وأنهم بحكم التعليم

الطبي التقليدي المتوارث عن سيجموند فرويد الوريث الشرعي لكهنة العصور الوسطى، لا يعرفون حقيقة المرأة جسدًا أو نفسًا، أو يعرفونها من خلال نظرية فرويد الخالدة التي حكمت بأن المرأة ذكر ينقصه عضو الذكر، أو أنثى خصيت جسدًا وعقلاً بحيث لا يزيد طموحها الجسدي أو العقلي عن الأكل والإنجاب والطاعة وخدمة الرجل والأطفال، كذلك إذا عرفنا أن أغلبية أطباء النفس في مصر (بل في العالم الأبوي كله أيضا) على هذا النحو، فما الذي يمكن أن يفعله الطبيب النفسي لعلاج امرأة مصابة بالعصاب، خاصة إذا علمنا أن العصاب يصيب النساء بسبب ذلك الإحباط المستمر في طموحهن الجسدي والعقلي ،نتيجة ذلك المفهوم التقليدي عن أن المرأة أقل من الرجل جسدًا وعقلا، وأنها لم تُخلق إلا لخدمة الرجل والأطفال والطاعة والإنجاب؟

وبعد قليل شد انتباهها لأول مرة فى الدراسة أن من ضمن أسباب الإضطرابات النفسية للنساء وكان عنصرين أخيرين وهامشيين وهما (عدم الإشباع الجنسى – وسيطرة الأم أو الحماة) فوضعت حولهما دائرتين وأخذت مفكرتها وكتبت فيهما من أسباب العصاب والمرض النفسى لدى النساء وكتبتهما ،ثم بجوارهما بحث ودراسة وملاحظات ميدانية وقررت فى نفسها أن تتابع فى كتب علم النفس والإجتماع هذين السببين وترى مدى ما وصل إليه العلماء ثم زادت عليهما أثر إصابة أحد أعضاء الأنثى الحساسة وبين قوسين وضعت(ثدييها – الرحم- المهبل)وأكملت أعراض وآثار سرطان عنق الرحم وسرطان الثدى وتبعات صعوبات الحمل والولادة ،أثر التغيرات الجسدية للطفلة وثقافة المجتمعات المختلفة ،واتفقت مع صديقتها على الرسالة العلمية الجامعة لأسرار الختان وأمراض النساء على أن تكون فيها فصلا عن مومسات لويس التاسع قائد الحملة الصليبية التاسعة واصطحابه لثمانية وعشرون ألف مومس وامرأة فرنسية مصابة بالزهرى والسيلان والأمراض النسائية ،أولا للتخلص منهم ومن عدواهم بعدما استشرت فى أوروبا بسبب الإنحلال الأخلاقى الذى عم فرنسا برضى كهان الكنيسة مقابل اشتراك الناس فى الحروب الصليبية ضد بلاد المسلمين ،وثانية بإلقاءهم بالسواحل الإسلامية فإن شفيت أمراضهم

بسبب نظافة الأراضي الإسلامية ونقاء تربتها وهواءها نجح مسعاهم ،وإن ماتوا فى عرض البحر كما حدث لأكثرهن ألقى بهن أمام السواحل الإسلامية فينقولوا إليها الأمراض ،وعلاقة ذلك بقذارة نساء أوربا عموما وفرنسا خاصة بسبب انعدام النظافة الشخصية ،ثم اتباعهم الطهارة الإسلامية للنساء كحل ناجع لأمراض النساء بأوروبا ،وهل كما قيل أن زوجته قبل أن تفتديه وأثناء مكثها قربه برشيد بعد العفو عنها ،اختتنت على طريقة الشريعة الإسلامية هى وكل الأميرات اللاتى أتين معها خصيصا لهذا الأمر ضمن حملة لويس التاسع .

وبدأت تتابع مع أطباء آخرين بحث كل جزء مما حددته وبدأت أولا بما يسمى "الحمل خارج الرحم" وعلاقته بسرطان عنق الرحم و والتقت بأحد أكبر أطباء النساء والتوليد بمصر وبعد أن رحب بها وقدر مجهودها فى إعداد دراسة مثل تلك بادرت تستمع له من خلال حديث تسجله له :

- أرجو من سيادتكم إعطائنا فكرة عما يقصد بسرطان عنق الرحم؟وتأثيراته على المراة ؟

- سرطان عنق الرحم هو مجموعة الخلايا التي تبدأ بالنمو في عنق الرحم. وعنق الرحم هو الجزء المنخفض من داخل المرأة الذي يتصل بالمهبل.تؤدي سلالات مختلفة من فيروس الورم الحليمي البشري دورًا في التسبب في معظم حالات سرطان عنق الرحم. وهي عدوى شائعة تنتقل عن طريق الإتصال الجنسي. عند التعرض للإصابة بفيروس الورم الحليمي البشري، يمنع الجهاز المناعي بالجسم الفيروس من إحداث الضرر. ورغم ذلك ينجو الفيروس لسنوات في نسبة صغيرة من الأشخاص. ويسهم في تحول بعض خلايا عنق الرحم إلى خلايا سرطانية.عندما يحدث سرطان عنق الرحم، غالبًا يُعالج أولاً بالجراحة لإزالته. وقد تشمل العلاجات الأخرى أخذ أدوية للقضاء على الخلايا السرطانية. وقد تشمل الخيارات الممكنة العلاجَ الكيميائي أو أخذ أدوية العلاج

الإستهدافي وقد تشمل أيضًا العلاجَ الإشعاعي باستخدام حزم أشعة عالية الطاقة. وأحيانًا ما يجمع نهج العلاج بين العلاج الإشعاعي والعلاج الكيميائي ، يحدث سرطان عنق الرحم عندما تنشأ تغيُّرات في الحمض النووي لخلايا عنق الرحم. ويحتوي الحمض النووي للخلية على التعليمات التي توجّه الخلية لأداء وظيفتها المحددة، وتوجّه تلك التغييرات الخلايا للإنقسام بسرعة. وتظل تلك الخلايا حية بينما تموت الخلايا السليمة كجزء من دورة حياتها الطبيعية. ويؤدي ذلك إلى وجود عدد كبير جدًا من الخلايا. وقد تُشكل الخلايا كتلة تسمى ورمًا. وقد تغزو الخلايا أنسجة الجسم السليمة وتدمرها. ومع مرور الوقت، يمكن أن تنفصل الخلايا من الورم الأساسي وتنتشر إلى أجزاء أخرى من الجسم.

- وهل له أعراض محددة ؟
- قد لا يسبب سرطان عنق الرحم أي أعراض في البداية، ولكن مع نموه، قد يتسبَّب في ظهور بعض الأعراض والمؤشرات، مثل:
- نزيف مهبلي بعد الجماع، أو بين الدورات الحيضية، أو بعد انقطاع الطمث.
- غزارة نزيف الحيض واستمراره لفترة أطول من المعتاد.
- إفرازات مهبلية مائية ودموية قد تكون غزيرة وذات رائحة كريهة.
- ألم بالحوض أو ألم أثناء الجماع.
- وهل يختلف من سيدة إلى أخرى ؟
- ينقسم سرطان عنق الرحم لعدة أنواع وفقًا لنوع الخلية التي بدأ ظهور السرطان فيها. وفيما يلي الأنواع الرئيسية لسرطان عنق الرحم:

- سرطانة حرشفية الخلايا. يبدأ هذا النوع من سرطان عنق الرحم في الخلايا الرقيقة المسطحة، المعروفة بالخلايا الحرشفية التي تبطِّن الجزء الخارجي من عنق الرحم. ومعظم سرطانات عنق الرحم من نوع سرطان الخلايا الحرشفية.
- . السرطان الغُدي. يبدأ هذا النوع من سرطان عنق الرحم في الخلايا الغدية عمودية الشكل التي تبطِّن قناة عنق الرحم.
- وفي بعض الأحيان، يرتبط هذان النوعان من الخلايا بالإصابة بسرطان عنق الرحم. ونادرًا ما يحدث السرطان في الخلايا الأخرى الموجودة
- وهل أسبابه معروفة ؟
- بالتأكيد تمت ملاحظة أن الأسباب الأساسية له هى :ممارسة الجنس مع عدة أشخاص. كلما زاد عدد الأشخاص الذين يمارس الشخص (أو تمارس زوجته) الجنس معهم، زادت احتمالات الإصابة بفيروس الورم الحليمي البشري.النشاط الجنسي المبكِّر. إن ممارسة الجنس في سن مبكِّرة يَزيد من خطورة الإصابة بفيروس الورم الحليمي البشري. تزيد الإصابة بأنواع أخرى من العدوى المنقولة جنسيًّا خطر فيروس الورم الحليمي البشري الذي يمكن أن يؤدي إلى سرطان عنق الرحم. ومن أنواع العدوى المنقولة جنسيًا الأخرى التي تزيد الخطر، الهربس وداء المتدثرة والسيلان وداء الزُهري وفيروس نقص المناعة البشري/الإيدز. قد يزداد احتمال إصابة المرأة بسرطان عنق الرحم إذا كان لديها ضعف في الجهاز المناعي بسبب حالة صحية أخرى، وإذا كانت مصابة بفيروس الورم الحليمي البشري. محاولة الإجهاض بالأدوية أو طرق أخرى إذا تناولت المراة دواءً يُسمى ثنائي إيثيل ستيلبوستيرول أثناء الحمل، فإن خطر إصابتها بسرطان عنق الرحم قد يزيد. وكان هذا الدواء يُستخدم في خمسينيات القرن

العشرين للوقاية من الإجهاض التلقائي. ويرتبط بنوع من سرطان عنق الرحم يُسمى السرطان الغُدي ذا الخلايا الصافية.

- وهل له علاقة بما يسمى الحمل خارج الرحم؟
- الحمل خارج الرحم، علامة على انسداد قناة فالوب، ويُمكن أن يترافق معه بعض أعراض الحمل، مثل: (الغثيان، وألم المعدة، وغيرها)، وربما يكون سببا لأحد أنواع سرطان الرحم إن كانت هناك صعوبات فى الحمل
- هل يغير سرطان عنق الرحم من سلوكيات المرأة الجنسية ؟
- بمعنى ؟
- أى هل يمنعها من التواصل الجنسى أو العكس يجعلها راغبة فى علاقات جنسية بصفة مستمرة ومتعددة
- فى الغالب إن كان ظهر بعد الحمل يسبب الإمتناع عن الجنس لما له من الألم أثناء الجماع ،أما العكس فلم ترصد حالات ولكن ربما يسببه مرض آخر ناتج عنه أو يكون متواجد ويظهر بسببه أو بعده
- وما هذا المرض ؟
- شيء يسمى وخزة المهبل ؟ وهنا استغرب الباحث"الذى اصطحبها للقاء عالم أمراض النساء لأنه لأول مرة يسمع بذلك ، وإن كانت مرافقتيه أصابهما نوع من الخجل وبدأتا تعبث بشنطتهما وما معهما كأنهما تبحثان عن شيء ،وراح الإستشارى يكمل قوله ،فاستئذنتا بحجة جلب شيء ما نسيته كعلبة مناديل وخرجتا وتنفستا خجلا خارج الغرفة ،فاستحثه ثالثهم على الإستمرار وقرب جهاز التسجيل
- تفضل حضرتك

- تشعر النساء من حين لآخر بإحساس كالوخز أو الإهتزاز في منطقة المهبل أو حوله. ويتراوح الشعور في شدته، قد يكون تهيجاً خفيفاً أو تشنجاً مؤلماً ويختلف من حالة لأخرى.

- هل هذه حالة شائعة لدى النساء ؟

- ليس من الممكن معرفة مدى شيوع الشعور بالوخز المهبلي لدى النساء بشكل دقيق؛ فهو أمر قد يتردد البعض في التحدث عنه. وحيث تعتبره الكثير من النساء أمر عابر لا يمثل مشكلة فعلية لديها قد لا تقوم بذكره للطبيبب ،وبشكل عام يمكن لأي أنثى أن تشعر بإحساس يبدو كالوخز أو الإهتزاز في المهبل في وقت ما من حياتها، ويعتبر ذلك أمر طبيعي.

- وهل له أسباب مرضية ؟

- قد لايكون سبب الشعور بوخز في منطقة المهبل واضحاً دائماً، ولكن من أسباب وخز المهبل المحتملة: أولا بسبب خلل في قاع الحوض (قاع الحوض عبارة عن طبقة من العضلات والأربطة التي تربط عظم الحوض بقاعدة العمود الفقري. وهو يدعم العديد من الأعضاء بما فيها المستقيم والمثانة، ولدى الإناث له دور في دعم الرحم والمنطقة المحيطة بالمهبل. قد يكون هناك خلل في عضلات قاع الحوض بمعنى أنها قد تكون ضعيفة أو ضيقة، وقد يسبب ذلك مجموعة من الأعراض تتضمن تشنجات في هذه العضلات، حدوث تشنج في عضلات قاع الحوض قد يظهر على شكل اهتزاز أو وخز في المهبل. في العادة تكون مشاكل قاع الحوض شائعة بشكل خاص بعد الحمل والولادة.

- ثانيا بسبب التشنجات العضلية(تشنج العضلات هو تقلص مفاجئ أو لاإرادى لعضلة واحدة أو أكثر. عندما تحدث التشنجات العضلية قد تسبب شعوراً بالوخز في المهبل. في معظم الحالات تكون التقلصات العضلية حميدة ولا تتطلب علاجاً.ثالثا بسبب التشنج المهبلي(والتشنج المهبلي هو حالة صحية تتضمن تشنجات عضلات قاع الحوض

حول المهبل، ويمكن أن تسبب الألم في فتحة المهبل. كما أفاد مركز مركز صحة الشابات (The Center For Young Women's Health) فإن التشنج المهبلي هو رد فعل انعكاسي يحدث بشكل عام عند وضع شيء في المهبل. لذلك قد تشعر المرأة التي تعاني من التشنج المهبلي بالألم عند تعرضها لفحص في منطقة الحوض، أو لدى ممارسة الجماع، أو عند استعمال السدادات القطنية. رابعا إلتهاب المهبل الجرثومي: من الطبيعي أن يكون هناك مزيج صحي من البكتيريا في المهبل، لكن البكتيريا الضارة التي تنمو هناك يمكن أن تؤدي إلى الإصابة بالالتهاب. وقد يرافق ذلك بعض الأعراض إلى جانب الحكة والتهيج مثل: الحرقة والإفرازات المزعجة. خامسا الأمراض المنقولة جنسياً: بعض الجراثيم مثل الكلاميديا (Chlamydia) أو داء السيلان (Gonorrhea) يمكن أن تسبب التهيج المهبلي. سادسا الإلتهابات الفطرية: حوالي ٣ من كل ٤ نساء تصاب بالعدوى الفطرية في المهبل في مرحلة ما من حياتهن. وهناك بعض العوامل التي قد تجعل المرأة عرضة للإصابة بالإلتهاب المهبلي الفطري بشكل أكبر مثل: الحمل، الجماع، أو تناول المضادات الحيوية. سابعا انقطاع الطمث: يؤدي انخفاض إفراز هرمون الأستروجين (Estrogen) في فترة انقطاع الطمث لدى المرأة إلى جعل جدران المهبل رقيقة وجافة؛ مما قد يؤدي للشعور بتهيج المهبل. ثامنا المواد الكيميائية: العديد من المواد الكيميائية بما فيها الكريمات والصابون أو منظفات الغسيل ومنعم الأقمشة ممكن أن تهيج المهبل. تاسعا عوامل نفسية (ترتبط كذلك تقلصات أو تشنجات العضلات بجوانب نفسية، وخاصة إذا حدثت فجأة في إحدى العضلات أو في أكثر من عضلة، هذه التشنجات تسبب شعورًا بوخز غير مريح في المهبل.وفي هذه الحالة لا تتطلب أي علاج، لأنها غالبًا ما تكون ناتجة عن القلق أو التوتر أو الإجهاد الجسدي أو التغذية غير الجيدة، أو تناول الكافيين أو استخدام بعض الأدوية المهدئة.

ثم بدأ الباحث فى شرح إحدى الحالات التى تتم عليها الدراسة الإجتماعية الطبية المشتركة وهى حالة شربات بنت ميمونة أم وردة

- لدينا حالة ندرسها وهى بنت قتلت أمها خنقا ،وأثناء لقاءات مع بعض أهليتهم اتضح أن الأم كانت تكره ابنتها كرها شديدا بسبب أعراض مرضية مثل تخضم الأنف وتورمات والتهابات جلدية أصابتها ثم أتتها بعدها حالة من الهياج الجنسى الذى جعلها تحتاج لممارسة الجنس بشكل مكثف فهل لذلك أسباب تتعلق بما قلته

- أولا حالة تضخم الأنف نلاحظها كثيرا على الحوامل أما الإلتهابات والأمراض الجلدية التى تطرأ على إحداهن أثناء الحمل ففى الغالب يكون وراءها تغيرات هرمونية أو شىء ما حدث فى كيمياء الجسد والمخ ،وغالبا تكون بدايتها أسباب وراثية غير ظاهرة من قديم، أما حالات الشبق الجنسى كما شرحت لك هى مجرد حكة مهبلية أتت بسبب الأمراض الجنسية لعدم النظافة الشخصية أو فى بيئات يغلب عليها تعدد العلاقات وأهمها السيلان والزهرى ..إلخ وأشهر الحالات هى نساء فرنسا وأوربا فى القرون الوسطى اللاتى لم يكن يعرفن النظافة الشخصية التى تعلموها من الدين الإسلامى عن طريق بوابة الأندلس أو الحروب الصليبية

- سؤال أخير لحضرتك هل العوامل النفسية قد تسبب تغيرات ضخمة للنفس البشرية ؟

- غالبا الأمراض النفسية والعصبية وخاصة بين النساء سببها تغيرات هرمونية بجسدهم فربما وجدنا كثيرا من النساء ترفض كونها أنثى ونجدها تصب غضبها على الرجال مع العوامل الإجتماعية فى المفاضلة بين البنت والولد ،والعوامل النفسية مرتبطة كثيرا بأمراض عضوية والعكس بالعكس

- هل صادفت حضرتك حالة كمثل وردة بنت شربات التى كانت تكره أمها أو ربما شربات التى كرهتها ؟

- هناك حالة معقدة دائمًا فى العلاقة بين البنت وأمها خاصة مع وجود الأب ضعيف الشخصية ،أما ما وصفته من تسلط الأم على ابنتها وجعل البنت منعدمة الشخصية معها وانقلابها عليها بعد ذلك نادرا ما واجهت حالات مثلها ،وأغلبها كانت سببا فى طلاق زوجات كثر من أزواجهن لتدخل الأم فى أكثر خصوصيات ابنتها مع زوجها.

ثم شكره شكرا عميقا وتمنى له مزيد من الرقى والتقدير العلمى ثم خرج يبحث عن زميلتيه ليعطيهما نص التسجيل لتستمعا إليه وتحددا أوجه النقص فيه إن وجدت ثم تفريغه ضمن دراسات بحثهم المشترك.

٥- الطبيب رأفت حلمى زكريا

وقادهما زميلهم للطبيب الأشهر بالسودان وملحقها الثقافى بأرض مصر وهو من مواليد الإسكندرية لأم مارونية لبنانية وأب فرنسى هربوا من لبنان أثناء مذبحة الترك للأرمن وصار طبيبا بأرض مصر، يبلغ من العمر سبعين عاما قضى منها عشرون عاما كطبيب ممارس بعد التحاقه بالجامعة قادما من مدرسة فيكتوريا كولدج فى أربعينيات القرن العشرين ،وأثناء فترة السبيعينيات عمل بإحدى قرى الوجه البحرى ولم تكن له شهرة تذكر ،حتى أتته يوما فرصة لم يكن يتصورها ،إذ أتاه أحد الرجال يجمع أهل الكفر من نسوة وبناتهن وذهب إليه مطالبا له بتطهير تلك الفتيات ،ولم يسأله أحد عن ديانته لأنه غير مسيحى مصر المميزين بعلامة الصليب الأخضر الذى يدق على ساعد الطفل والطفلة يومه السابع عند تعميده بواسطة أحد القساوسة بعد أن يحمى ذاك الصليب لدرجة الإحمرار ثم يلسع به كف الرضيع ،ووالديه سعداء أيما سعادة وطفلهم يتلوى من شدة الإحتراق ،ولم يكن وقتها يعرف شيئا عن الختان أو حتى الجراحة ولم يمسك يوما مشرطا ،فأتته فكرة شيطانية بعدما ألح عليه ،لمجابهة الدعاوى التى ظهرت من عام ١٩٧٤ ثم ارتفعت نغمتها بمنع الختان الإسلامى للفتيات فقرر تغيير الواقع بيده بعدما جاءته تعليمات شيوخه العليا بمجابهة الفكرة بتثبيت الأمر كواقع وليس كإختيار للوالدين فعلوه إن شاءوا وتركوه إن أحبوا ،وكانت تلك الفكرة أن يمرر المشرط على الطرف العلوى لبظر الفتاة فينجرح ثم تنوف الدماء ،فيداويها ويأمرهم بتطبيبها بالمنزل لمدة أسبوعين حتى يذهب أثر الجرح ،فلما فعل ذلك برغبة دليلهم تناثرت حوله الأموال كما لم يعهدها ،ورغم أنها كانت مجرد قروش ومليمات وربما أرباع ورقيا تلك المرسومة عليها خضروات مصرية إلا أنها كانت وقتها بالنسبة له ثروة لم يعهدها ،ومن يومها أخذ يجوب النجوع والقرى كطبيب يختن الأولاد والفتيات ،وأخذ يجيب على تساؤلات مجموعة الدراسة

- نرجو التعرف على سيادتك أكثر ؟

- أنا الطبيب رأفت حلمى زكريا ،حاليا الممثل الثقافى لدولة السودان الجنوبى نشأت بالإسكندرية المصرية لأبوين لبنانيين

- كيف بدأت عملك بمصر ؟

- بعدما تخرجت من كلية الطب عملت بإحدى وحدات الصحة القريبة من الاسكندرية وظللت أعمل بها فترة خمس سنوات أو أقل قليلا، ثم نقلت الى وحدة صحية من تلك التى أسست بعد قيام الثورة ثم انتقلت إلى قرية أخرى فى إحدى محافظات الدلتا وبقيت بها ما يقرب من عشر سنوات

- هل لاحظت شىء ما تغير فى المجتمع المصرى وقتئذ ؟

- بالتأكيد بدأت تنتشر الوحدات الصحية وزاد الإهتمام بصحة المواطن البسيط بعدما كان مهملا طوال حقبة الباشوات والإنجليز

- ما رأيك فى الثورة المصرية عام١٩٥٢؟

- لا أدرى ما أقول لكم عن نفسى كنت سعيدا بها وبما أنجزه جمال عبدالناصر إلا أننى وجدت غضاضة عند أبى بدأت تتسرب إلى منه

- لماذا ؟

- لا أدرى ربما لأن عبدالناصر هاجم الغرب وفرنسا كثيرا ثم ما سببه العدوان الثلاثى على مصر خاصة أن أبى كانت له أصول فرنسية

- وهل تأثرت عائلتكم بهذه الأحداث ؟

- إطلاقا بل ظل تعامل المصريين فى حينا بالإسكندرية كما هو لم يتغير

- متى شعرتم بالتغير إذن ؟

- بعد انفصال الوحدة العربية وكانت بالتأكيد سوريا ولبنان جزء من هذا الإتحاد الذى إنهار

- هل كنت تؤيد الوحدة العربية ؟

- لا

- لماذا ؟

- أولا لأننا شعوب مختلفة جذريا خاصة فى الساحل الشرقى ،لبنان تحديدا ومن الصعب الإندماج كما أراده الناصريون فى سوريا .

- ومن برأيك كان سببا فى الإنفصال ؟

- لن أكذبكم القول أولا هى المكيدة الغربية فلبنان وسوريا انفصلتا وجدانيا عن الأمة العربية ،كما أن حزب البعث كان ذو ميول غربية بحتة تختفى تحت شعارات الوحدة العربية وإنى كنت أشبههم ببروستانت الإنجليز يريدون كل شىء ولا يعطون القليل

- وهل أحزنتك النكسة ؟

- بكل تأكيد "وهنا تعجب الجميع "

- لا تتعجبون لقد كنت مخالف فى الرأى كثيرا لعبدالناصر ولكنى آمنت به وصدقته بل وأحببته

- هل قمت بأية عمليات ختان خلال هذه الفترة ؟

- لا ؟

- لماذا ؟

- لأنه فى هذه الفترة كان غالبا يتم تطهير الصبيان على يد ما كان يسمى حلاق الصحة وربما تم ختان البنات على يديه أو ربما على يد الداية وأحيانا كانت قسمة بينهما

- هل قابلت حلاق صحة فى عملك وهل هو كما رسمت له الصورة المعتادة ؟

- نعم لقد قابلت كثيرين وفى الغالب كانت لديهم مهارات الطب الشعبى وربما عملوا بعضا من الوقت بوحدات الصحة التى كانت قليلة وقتئذ كما أن تعليم الطب والتعليم عموما فى مصر لم يصل إلى درجة التطور المعروف الآن ؟

- متى غادرت مصر ؟

- أول مرة خرجت من مصر إلى بلد غير لبنان كانت فى الستينيات إلى السودان بعد أن أصبحت كدولة مستقلة ضمن بعثة مصرية .

- هل وجدت اختلافا هناك ؟

- بالطبع لقد كان هذا البلد غنى جدا فى موارده الطبيعية فقير جدا فى حياته المعيشية وهذا أكيد بسبب ما فعله الإنجليز من إفقار لهذا البلد وقد كان منقسما بالفعل ففى شماله تجدين الناس يتكلمون العربية بطلاقة ويتسمّون بالأسماء العربية الإسلامية وأما الجنوب كانوا شديدو السواد قليلا منهم الذى يعرف العربية وغالبا ليس لديهم أسماء عربية وإن لم يكونوا مسيحيين فهم فى الغالبية العظمى وثنيون

- يقال أنك كنت مطارد من الكنيسة المصرية فلماذا؟!وهربت إلى لبنان ومنها للسودان؟

- تبسم قليلا ثم قال :لقد كان ذلك بسبب الزواج ؟

- الزواج ؟كيف؟

- بعد حرب يونيو وكنت وقتها بالسودان ضمن البعثة الطبية المقيمة هناك تحديدا فى جنوبها ثم أعدت للعمل بمدينة الإسكندرية وتزوجت هناك من امرأة إيطالية الأصل ولم نوفق فتوجهت للكنسية التى أتمت زواجنا للطلاق فرفضت رفضا باتا وما كان إلا أننا اتفقنا أن نذهب إلى خارج مصر وننفصل ففضلت لبنان وهناك كان الطلاق أيسر منه فى مصر ،وكانت الأمور هناك فى بداية الإلتهاب فكتبت رأيا عن أزمة الطلاق المسيحى

ورويت به قصتى ثم عدت للإسكندرية وانتقل هذا المقال إلى مصر فغضبت بشدة الكنيسة المصرية وتبعتها اللبنانية ،وضيقت على منافذ العمل.

- وماذا قلت به ؟

- لا أتذكر كثيرا وإنما سردت وما زال هذا رأى حتى الآن :

أن الله أعطى موسى حق الطلاق بسبب قساوة القلب كما يقول العهد القديم "إن موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا النساء "، وبينت أنه لا يمكن أن يكون سمح بالطلاق مرة واحدة ثم يعود ويتراجع عن ذلك فيما بعد كما أنه ذكر فى الكتاب المقدس أيضا "إذا أخذ رجل امرأة وتزوج بها فإن لم تجد نعمة فى عينيه لأنه وجد فيها عيب شيء وكتب لها كتاب طلاق ودفعه إلى يدها وأطلقها من بيته ومتى خرجت من بيته ذهبت وصارت لرجل آخر "

- وهل فصلت من عملك ؟

- لا بل طلبت نقلى فنقلت إلى إحدى كفور الدلتا وظللت به ثلاث سنوات حتى نهاية حرب أكتوبر وبعدها بسنة تفتحت لى أبوب الحظ

- أبواب الحظ ؟كيف ؟وما هى ؟

- فى أحد الأيام وجدت أحد الشيوخ –وأشار بيده بعلامة تدل على كثافة لحية الرجل وطولها المبالغ فيه ونفرة شعرها على جانبى وجهه -حاملا طفلة ومن خلفه جموع آباء وأمهات يحملون أخريات وهن جميعا يصرخن من شدة الهلع فقد أخذن على غرة من وسط الغيطان أو ضفاف الترعة وهن تلعبن لعبة الحجلة ولا يعلمن ما يفعل بهن وطالبنى بختانهن بعدما مات أحد حلاقى الصحة ومنعت الحكومة الآخر من ممارسة أى دور يتعلق بالطب فأسقط فى يدى إذ أننى لم أتجاسر يوما بمسك مشرط لقطع جزء من إنسان اللهم إلا بتحريك طرف المشرط على قدم أو يد تورمت من شوكة أو مسمار دخل بأحدهما فتنفجر مادتها وأبادر بعلاج المصاب وبعد ترددى أتتنى فكرة تحريك المشرط على الطرف

العلوى لهذا العضو النسائى وفعلت ذلك فانسابت الدماء ووجدت من بينهم يخرج حلّاق الصحى المتبقى بالكفر وهمس قريبا منى :

- إنه لم يفعل أكثر مما كنت أفعل ؟بل إنى أمهر منه فى ذلك وبدأ يشرح كيف يأخذ من عضو الأنثى هنا وهناك ، من أعلى والجانبين ،فغاظنى بكلماته فأعطيت لهم دواء مطهرا وبرشاما مسكنا مما كانت تكتظ به صيدلية الوحدة فوجدت النساء تملء المكان بالزغاريد وقبلنى الشيخ وشكرنى الرجال وألقيت فى أدراج مكتبى القروش والمليمات والربوع الورقية وكانت الأم تضع ويأتى من بعدها الأب فأقول له يكفى ما وضعته فيرد

- هذا ثمن التذكرة أما الأولى فهى حلاوة الطهور !

- وهل أكملت ؟

- أكملت ؟وقهقه كثيرا حتى لفت نظر الآخرين فى المكان :

- لقد كانت فاتحة الخير لى فلم تخلوا يوما الوحدة من حالة طهور لولد أو بنت حتى أننى امتلكت لأول مرة شقة "بلوك" للتصييف على شواطىء الإسكندرية

- ألم يلاحظ أحد أنك مسيحى ؟فعدل جلسته فى الحقيقة كانت هذه معضلة لم يكتشفها إلا حلّاق الصحة فقد أخذ يتردد علىّ وشعر أننى لست بمسلم فأبرز لى ساعده ووجدت علامة الصليب الأخضر منقوشة عليه .

- وهل وشى بك ؟

- لا ؟بل كانت أشبه ما تكون بالإبتزاز ؟

- وهل طاوعته ؟

- أياما استعملته فيها ثم قررت أن أقطع الطريق عليه .

- كيف ؟

- ذهبت إلى الرجل الذى جمع لى الفتيات ودلست عليه أنى مسلم اتخذت طريق الماركسية وكانت نفسى مترددة حائرة فدعانى للتوبة والإنابة .

- هل أسلمت ؟!

- لا لا لم أنطق الشهادتين وقتها ؟وإنما ادعيت توبتى ورجوعى على يديه

- وماذا فعل هو ؟

- لقد طار فرحا وعزمنى فيما يشبه حفلة– وأخذ يضحك ضحكة سخرية – وأنه استطاع بقدرته الفذة فى إبعادى عن طريق الضلال وهدايتى للطريق الأقوم .

- ألم يأخذوك يوما إلى المسجد للصلاة معهم ؟

- هذا ما أوجسنى من هؤلاء فهم لم يكونو يحبذون الصلاة فى مسجد القرية مع الأهالى وإنما يتجمعون فى جامع آخر بإحدى القرى خاصة ليلة الخميس ويمكثون به حتى انصرافهم بعد عصر الجمعة كل إلى بلدته

- وهل أقمت هناك كثيرا ؟

- ما يقرب من سبع سنوات حتى اشتدت المعركة بينهم وبين أنور السادات واقتحموا منزل حلاق الصحة المسيحى الذى كان يسكن بينهم ،وطالبوه بمغادرة الكفر وهنا حاججهم بأن هناك مسيحيا يرسلون إليه نساءهم وبناتهم للتطبب والطهارة وأنكر عليهم كيف وهو صديقهم من قديم ووالده كان يملك أرضا كآباءهم بذات الكفر بل إنه وأجدادهم كانوا شركاء فى كثير من تجارات الفواكه التى كانوا يزرعونها معا وذكّرهم بشراكة جد أحدهم مع جده فى إحدى ماكينات الرى وآخر بطاحونة القمح على مدى مائة عام أو أكثر ،بينما يطمئنون إلى الغريب المسيحى فلما علموا بالواقعة أرسلوا إلىّ بعضهم ،ورجوتهم أن يتركونى أغادر وقد محيت من ذاكرتى كل شىء عنهم وعن أهلهم ، وأسعفنى إحاطة عساكر النقطة للوحدة الصحية وأسرعت إلى الإسكندرية أياما .طلبت وقتها نقلى للصعيد فتم على الفور الموافقة على ذلك ،وكان من حظى أنى وضعت فى وحدة صحية حديثة

بنجوع الحلبنجية الغربية وهناك وجدت صيتا لامرأة تطبب النساء وتكاد تلغى دور الوحدة الصحية ؟

- من هذه السيدة ؟

- أم قرقر ؟

- أم قرقر ؟! وهنا تعجب مجموعة المستضيفين أن جاءت سيرتها فى حياة هذا الرجل سريعا .

- وأكيد حدثت بينكم حرب شعواء ؟

- بالعكس ، لقد بادرت للتعرف على هذه السيدة واستفدت كثيرا منها.

- استفدت ؟!

- نعم فقد كانت هى التى تتولى عملية الختان للسيدات فى هذه المنطقة فلما بدأت الدولة تمنع ممارسة الطب خارج وزارتها أسست وحدة صحية بكل منطقة تقريبا ومنها قرية العرب وما جاورها من نجوع وعزب

- ولكن كيف بدأت علاقتك بها؟

- بسبب عقرب

- عقرب ؟!

- إحدى بناتهم قرصتها عقرب فهرولوا إلىّ ،فوجدتهم يحملونها مرابعة فاستعجبت فأفهمونى أنها متطهرة منذ يومين وأثناء نومها على أرض الغرفة استيقظت صارخة فظنوا أنها من ألم الطهارة ،إلا أنهم فوجئوا بالعقرب تخرج بجوارها ،وشكرت ربنا ساعتها أن كانت الوحدات بها عقاقير للوقاية من لسع العقارب ونهش الحيات وأبقيتها بالوحدة ليلة حتى قلّت حدة السم، ولاحظت وقتها إلتهابا مكان الختان فأخبرتهم بضرورة مداواته فبعثوا إلى أم قرقر ،وأتت على عجل وأخبرتنى أنها طهارة نظيفة ومعقمة فبينت لها الإلتهاب

وشاركتنى فى تنظيفه وعلاجها ومن وقتها أصبحنا شركاء فى عمليات الختان ترسل إلى الذكور وأنا أعطيها بعض العلاجات لتساعدها فى ختان الإناث .

- هل هذه الإستفادة فقط – وكأنهم استهانوا بها – فسكت قليلا وسرح بناظريه قليلا ثم أجاب

- لا طبعا

- احكيلنا سيادتك أكثر شيء استفدته منها ؟

- أرجو أولا ألا تتحرجا"وتوجه بالكلام للسيدتين" مما سأقول فأنا الآن تخطيت السبعين .

- تفضل حضرتك وستجدنا متفهمين جدا ولا تخشى مما ستقول سنتعامل كأنه بحث علمى ، فأومأ برأسه علامة ارتياح

- بعد مكوثى بالوحدة شهورا بدون سفر بادرتنى بسؤال عن حالتى العائلية فأخبرتها بزواجى ثم طلاقى وفى إحدى الليالى أتت لتأخذ علاجا مطهر وبعض المسكنات ومشرط طبى فأعطيتها وفاجأتنى أن لو كنت أرغب فى امرأة تخفف عنى وحدتى ؟وتذكر فى مخيلته ذاك الجوار:

- لو تحب سآتيك بامرأة تساعدك فى طلباتك وتساعد فى تنظيف الإستراحة
- طلبات ،ما سعيد التملى قايم بكل شغل الإستراحة
- سعيد التملى إيه ،واحدة ست يعنى ممكن تساعد فى كل حاجة وتلبى طلباتك "وتكلمت معى بطريقة أنثوية يفهمها الذكور"
- يعنى القرية دى فيها..... ثم سكت
- لا ليست هذه القرية واخفض صوتك وإنما من النجوع التى هناك وأشارت إلى حيث تسكن

- ممكن نشوف ونعاين
- بكره بعد المغرب سآتيك بحالة كشف
- كشف ؟! "وفهم الخطة " ووافق
- تمام
- وهل جاءت إليك فعلا بإحداهن ؟
- نعم ومكثت معى ليلة وحقيقة استمتعت معها كثيرا وسألتها عن سر هذا الشعور الذى لم آلفه مع زوجتى أو أخريات بلبنان أو الإسكندرية وعلمت منها أن نساء الحلبنجية لهن طريقة خاصة فى الختان تجعل السيدة أكثر شهوة وإمتاعا فى ذات الوقت وأن المتخصصة فى ذلك هى أم قرقر .
- وسألته الأخصائية وهل وجدت شيئا مختلفا بها عن النساء الأخريات
- بالطبع فعضوها كامل الأجزاء وإنما محدد أعلاه بطريقة خاصة وظننت وقتها أن هذا هو أصل الختان الإسلامى الذى رغبه مجموعة الرجال فى القرية البحراوية ، فلما أتتنى أم قرقر ناقشتها فأخبرتنى أنها علمت من السيدة أنتى غير مختون ووجهت إلى سؤالا مفاجأ
- هل أنت مسيحى ؟ فأجبتها بنعم فاطمأنت وأخبرتنى الخبر
- وما هو ؟
- أنهم عندما أتت أمها وجدتها لهذه المنطقة كانوا يختنون بناتهم بالأسلوب الإسلامى الذى يجعل البنت نظيفة ويحميها من أمراض النساء المعتادة ويجعلها جميلة صبوحة الوجه ،فلما تكاثرت نساءهم ونبذتهم القرى إلا من أحقر الأعمال قرروا احتراف مهنة الطهارة وجلبية السيدات، إلا أنهم اضمروا أن يجعلوا كل نساء القرى من حولهم خاصة عزبة السيد الشريف شابقات تفور فيهم الشهوة بمجرد البلوغ وذلك بسبب إذلالهم

لنساءهم فقد كانت رجالهم لا تخشى منهم أحدا وتتخذ منهن متعة مجانية لهم بسبب ضعف عزوتهم .

- وهل هذا كل شيء ؟

- بالطبع لا هناك الكثير الذى لن أبوح به مادمت حيا !!

- ممكن نسألك سؤالا علميا؟، وأخرج صديقهم مفكرة وكتب بها السؤال وأراده مكتوبا تحرجا من زميلاته فأخذها وقرأها جيدا وكانت عن أسلوب ختان الرأة وأسلوبه كما عاينه ومارسه فى مختلف الأقطار التى عمل بها ؟أو قرأ عنها ،ثم بدأ يكتب فيها ووضح الفرق بين طرق الختان "الغجرى – الإسلامى -الفرعونى – اليهودى المسيحى " وجعل بها بعضا من الرسوم التوضيحية وأعادها إليه وكأن السيدتين تطلعتا إلى ما فى الورقة فأخبرهم زميلهم أنه سيلحقها بالبحث والدراسة عندما ينتهون وستراجعانها وقتها ثم أردفه بعدما تصفحها

- هل هناك ختان مسيحى ؟

- بالتأكيد فالختان شريعة النبى إبراهيم وقررته اليهودية نصا وتفعله بعض الطوائف المسيحية مثلها ؟فسألت إحدى الباحثتين

- هلى تعنى أن ختان الإناث مقرر شرعا لدى اليهود؟والتفت إليهم صديقهم وهو كان يهم بإلقاء نفس الإستفسار

- المقصود مما قلت ختان الذكور ،ثم أردف الباحث

- وقلت سيادتك بعض الطوائف المسيحية

- نعم بالتأكيد فهناك طوائف مسيحية لا تعتبر ختان الذكور فرضا وأخرى تصرّ أنه أمرا ربانيا كما فى العهد القديم والأغلب أن نصارى مصر – وتعجب الجميع – بذكره لفظ نصارى مصر يقومون بختان ذكورهم بعد اليوم السابع كما هى عادة المصريين جميعا ثم يتعمد الطفل كنيسيا ويدق على يديه بصليب محمى ليطبع على ساعده الصليب الأخضر .

- وهل يمتنع المسيحين عن ختان بناتهم ؟

- الحقيقة لمّا نزلت الصعيد وعملت به كانت كثرة من المسيحين يختن بناتهن بالطريقة الإسلامية أكثر من وجه بحرى والإسكندرية .

- وشكره الجميع على وقته وتمنوا لو الحظ أسعفهم و التقوا بأم قرقر فربما أعطتهم الكثير عن الحالة الإجتماعية خلال نفس الفترة وهنا فاجأهم بقوله

- هل ستتفاجأون إن قلت لكم أنني أعلم مكانها .

- حقيقى ونظروا لبعضهم البعض وشدة المفاجأة أخذتهم جميعا

- إنها ربما قد بلغت المائة أو أكثر ،وهل تعلم مكانها حقيقى ؟

- أعلم

- وهل ستخبرنا .

- سأخبركم وأرسل معكم إليها تحياتى الحارة ثم أصرّ إليهم بأن يذكّروها برأفت الحلبنجى ،ودلهم على مكانها وشكروه كثيرا وقبل أن يغادروا تذكروا قضيتهم فأعادتهم الطبيبة إليه وسألته :

- حضرتك أخبرتنا أنك عملت بالقرب من نجوع الحلبنجية فهل سمعت بقضية وردة بنت شربات فدعاهم إليه وبالتقرب كثيرا منه فجلستا الأخصائيتين عن يسراه ووقف زميلهم نصف وقفة مسندا يده على أريكة من جانبه الأيمن .

- أول ست أتتنى بها أم قرقر فى الوحدة الصحية كانت شربات أم وردة ،،فجلس الرجل بجواره وأكمل قصتها وصعوبة ولادتها الأخيرة ،وأخبرهم أن الذى سبب لها كل ذلك فى نظره هو سقوط الرحم وإعوجاجه وقد عاينه بمواقعتها وتأثرت مبايضها وظنّه أنهما انغلقت بهما قناة فالوب وأن حوضها تعرض لتمدد عضلاته الداخلية وأصبح يتأثر بمجرد

حركتها خاصة فترة الإحاضة بجانب مرض ما يسبب لها الحكاك من الداخل مع زيادة الإفرازات

- وسجلت السيدتين كل ذلك وهما متحرجتان وترغبان فى الإختفاء من أمام الرجلين وغادرتا سريعا وجلس الثالث معه قليلا يساجله بالأسئلة عن هذه الحالات وهل هى علمية وموثقة فأخبره أن بعضها منتشر جدا خاصة آثار صعوبات الحمل والولادة وبعضها مجرد ملاحظات طبية لا تفسير لها الآن لعدم وجود المتطوعات لتلكم الدراسات فى أغلب دول العالم ثم شكره جزيلا وودعه ،بينما الأخصائيتين ناقشتا بعضهما عن مثل تلك الحالات وأنهن بحاجة لمتخصص دقيق والأفضل لو كانت طبيبة لها دراسات علمية فى أمراض النساء النفسية والعضوية وهنا ذكرتا بعضهما بطبيبة مصرية ذاع صيتها أواخر السبعينيات وقد أجرت دراسات على مثل ذلك .

ولحق بهم ثالثهم واعتمدوا خطة البحث والدراسة بأن لابد من الإلتقاء بالحاجة نوال وهل هى فعلا "أم قرقر " كما ادعى الطبيب رأفت ،كما أنهم أكدوا لبعضهم بضرورة زيارة وردة بالمصحة العمومية بالقاهرة .

٦- الإمام القرقرانى

والتقوا فى رحلة بحثهم مع رجل دبلوماسى آخر ولكن بخلفية أمنية قص لهم حكاية هذا الإمام كما عرفها أثناء ابتعاثه بشرق آسيا ملحقا عسكريا ،فهذا الإمام أخذ العهد والولاية بخلافة العالم الإسلامى فى لاهور الباكستانية بعدما أتاها من بعد مكوثه عشر سنوات بين أقاربه من دريعة الحجاز. وكانوا يجدونه دوما ممسكا بكتاب فإذا سئل عنه قيل أنه لإمام السلف جلال الدين السيوطى فظنّوه أحد كتبه الألف فى تفسير القرءان والحديث ،إلا أنه فى الحقيقة كتابا لذاك الإمام ولكنه أحد الكتب السبعون فى فوائد النكاح،والتى طبعها وحسنّها القرقرانى واحتفظ بها فى خزانته، ليظن الناس أنه كما اشيع عنه قارىء القرءان ومفسره أتى من مدينة القيروان فى المغرب العربى ،لذلك يتوهمون أن اسمه القرقرانى لجمع هذين اللقبين ولكنهم لا يعلمون حقيقة أصله ، فإذا حاججه بعضهم بأنهم لم يجدوا له أصلا بالمغرب العربى أعادهم لنسبه المزيف إلى السيد الشريف قرقر من إحدى قرى مصر وقد كانت أمه سيدة القربى وابنة الحضرة المقدسة كما أشاعوا عنها الشيخة "نوال"، وكان يوما يجلس وفى يده كتابا للسيد السيوطى ظنه تابعه كتابا لتفسير سورة النساء لأنه كان فى هذه الجلسة يتحدث عنهن ولماذا خلقن وأنهن زينة الحياة وجائزة الآخرة لأتباعه المؤمنيين ،فلما انتهت جلسة الدرس الدينى وذهب لإحدى نساءه المائة اللاتى وهبن له أنفسهن كما أوهمهن بتتبعه السنة والقرءان فى ذلك، فنسى هذا الكتاب على المنضدة فتطوع هذا التابع للتبرك بلمس الكتاب محل يد الإمام فإذا به تنفتح الصفحة المحددة عند نص قراءته فارتعدت فرائصه إذ أنه وجد فيه :

فصل فى دواء علة الجوى... مكتوب بتلك الورقة

- (قالت جارية لأمها : يا أمه لقينى عبد بنى الشعوبة بأسفل وادى التيه فزقزقنى وزقزقته ودفعنى فأجذبت وأقعى وأنويت فأخذنى تسعا وأفلت بالعاشر .

قالت الأم : أو ليس ذاك أخبث عبيد العرب إنه كان يأخذ أمك تسعا وتسعين)

ووجد فى حاشيته مكتوبا بخط الإمام كأنها أم قرقر خبيرة النساء والرجال ثم قلب صفحة فوجد بها :

-وقد قال محمد بن على بن الحسين لصفية الماشطة "ابغينى امرأة تعرف الوحى بالنظرة وتلبس الحيا من جلبابها إذا لبسته وتضعه إذا ما وضعته .

- وقيل تزوج رجل بامرأة فوجدها رحبة ،فقال لها : ما هذه الشقة ؟

قالت :أيها الرجل إنه فتق للعول غلظ رأسه لم يتعلق بشىء ،

قال أبوعبيدة : قالت سلمى القريعية :نكحنى فى الجاهلية خمسة نفر كلهم يقرعنى بمثل المرود فما رأيت أنجب من بحير النباش فى أقل من عشرين سنة

فقالت لها ابنتها :والله ما ذاك إلا لسعة المدخل لا لرقة الداخل.

فأراد الإستيثاق مما قرأ وهو المجيد للعربية التى تعلمها فى أزهر مصر فذهب لأحد الجدران المسمى خزانة الإمام الموجودة بداخل جامعه "جامع الإمام القرقرانى " والذى تفد إليه الجموع من كل شرق آسيا المسلم من البنغال والأفغان وأهل البلاد الباكستان ظانين فيه خليفة آخر الزمان ،بعدما لمحه آخر يمسك بكتاب الإمام وهو محظور عليهم تتبع حاجياته إلا بإذنه ،وتظاهر بالتبرك من أثر يد الإمام على غلافه بوضعه على وجهه وتقبيله وأبدى حرصه على عدم تركه مطروحا هكذا ولابد من إعادته فلما فتح الخزانة وجدها مكتظة بالكتب الصفراء القديمة فوجدا صفا لكتب الإمام السيوطى كلها جميعا فى فن النكاح وإتيان النساء وأنواعهن ولم يجد إلا نسخة واحدة من ألف كتاب له فى تفاسير القرءان وتعاليمه ، وبجانبها كتاب كليلة ودمنة وكتابا مصورا عن العصر العباسى يصف حمدونة بنت الرشيد وجواريها كمثل خادمتها دقاق ،وأشهر مغنيات بنى العباس الجارية دنانير وبه كثير من أشعارهم وطربهم وأقوالهم فيمن أتاهم من الرجال ثم صفوفا متعددة من كتب الهند فى السحر والتوابل والنساء والعطور، فأغلق الخزانة وتذكر صديقه المصرى الذى جلبه معه من أرض الحجاز كهدف للعودة لحياة السلف الصالح كما ادعى بنو دريعة

الذين جلبتهم حكومة الباكستان لإقامة الدين الإسلامى هناك ،بعدما اتخذوا موقفا سلبيا فى الستينيات من جمال عبدالناصر الذى أسس حركة عدم الإنحياز بالشراكة مع الهند ، فلما نزلا أرض الباكستان ورأى خديعة المجلوبين لأهالى البلاد وهذا الإمام خاصة ، حكم عليه كما ادعوا حكما إسلاميا بتقطيع أوصاله من خلاف لتكذيبه الإمام والخروج عن تعاليمه الدينية ،وترحم عليه كثيرا وبكت عيونه مع قلبه عليه إذ أنهم كذبوه جميعهم ورموه بالزندقة كأهل مصر كما أشاع بنو دريعة لديهم عن أهلها المسلمين ،ففاجأه الإمام بوقوفه خلفه ثم جمع له الأتباع الذين حكموا عليه كصديقه المصرى ،وقتل فجر اليوم التالى فى الميدان المتسع أمام جامع خليفة المسلمين وقائدهم الجديد ،وراحت جموع الجهال تهتف بحياة إمام آخر الزمان وخليفة المسلمين المخلص ،وهو جالس على كرسى مطعم بحلى الهند وذهبها وعلى قوائمه الأربعة نقشت قصص آلهة الهند ،وأوهم أتباعه أنها نبوءة الخلفاء الأوائل بقدوم الخليفة المحارب الذى يكسر أعداءه ويحطمهم فرسمها مسلموا الهند على هذا الكرسى ، وأتى إليه كما جيء بعرش بلقيس تحت قدمى الملك سليمان وأخذ يتذكر وهم يطوفون حوله كيف إنزهل صديق المصرى بعدما أسّر إليه بسر أصله وأنه ابن حفّافة النساء وخبيرة الرجال المسماة الآن فى مصر " ذات الولاية الإلهية الشيخة "نوال شهاب الدين البستانى" أو التى كانت تدعى فى جنوب مصر فى طرف إحدى قراه ضمن أهل الحلب والغجر"أم قرقر " ،وأنه هو "قرقر" الملقبة على اسمه والذى أدعوا عنه أنه حفيد الشيخ الشريف قرقر ،سليل أشراف بنى دريعة من أرض الحجاز الذين زورت لهم الأنساب ووضعت نسخة منها فى دار النقابة بالقاهرة، وأخرى مكذوبة جعلت لطائفة أخرى بأرض السند نسبا متصلا للحسين عن طريق ابنة ملك الفرس التى تزوجها بعد فتح فارس ثم أخرج له من بين كتب الجنس وأنواع النساء وأساليب التمتع بهن ورقات مشجرة للنسب المكذوب ،وحكى له أصل الحكايتين حكاية أصله ثم حكاية النسب المزور المثبت فى النقابة المصرية فقرأ له من كتاب "جمهرة أنساب العرب الصغرى و إجلاء الخفى من الأنساب " وهو كتاب غير الكتاب الأصلى لصاحبه الإمام ابن حزم

،ويقال أن كاتبه هو أمير ولاية مصر زمن الخليفة العباسى وضعه ليبين بعض الأنساب المدسوسة ثم أعطاه له ليطلع عليه ووجد فيه النص الآتى :

"أن الخليفة العباسى بعدما استتب له الأمر بالعراق والشام اتجهت ولاته إلى مصر يبحثون عن شيعة على زين العابدين وأنصاره فبعث إلى والى مصر أن أرسل بنى الحسن والحسين بمن هم فى أرض مصر إلينا نتبارك بهم ونحسن وفادتهم علينا وندعو ونستغفر الله بهم عما فعله السابقون ، فلما وصل الكتاب جمع أهل العلم والحل والقضاة والعلماء واستشارهم فى الأمر ، فخاف أهل مصر أن يذبحهم كما ذبح الحسين وآله من قبل وأشاروا عليه بأن يجمع له قطاع الطرق والمخالفين ومن هم بالسجون ونسوة من الوصيفات وجواريهن ممن أسئن السيرة بين الناس،وبضعة من نساء الغجر ،وإخبارهم بأن أمير المؤمنين أمر بجمعهم ليرى فيهم حكمه ، وأرسلهم لدار الخلافة بأرض العراق وليرى فيما يفعله بهم فإذا أعمل فيهم السيف قتلا وذبحا فقد استراحوا من شرهم وأنقذوا العترة الشريفة بأرض مصر ولم يخالفوا أمر الخليفة، وإن صار غير ذلك فقد بقيت كذلك العترة الشريفة مصونة محفوظة بين أهل مصر وتطهرت أرضها من هؤلاء ،واستحسن الوالى مشورتهم فأرسل وجمع الجموع وقاربوا بضعة آلاف فأرسلهم إلى بغداد مع حرس وخدم لا يعلمونهم ،فلما وصلوا أرض العراق استقبلهم أحد حجابه وهو الذى أصر إليه بجلبهم وجعلهم بين يديه حتى لا يجتمع حولهم الناس بمصر وتصير لهم شيعة يناصبون الخليفة فى ملكه ،فأحسن استقبالهم وأنزلهم القصور والدور الموثرة ثم راح يدور عليهم ويستطلع أمرهم بنفر من قواده وأتباعه ،فلما رآهم وكان ذو دهاء وخبث وفيه من فطنة الرجال ،علم يقينا أن هؤلاء ليسوا هم بنو الحسن والحسين ساكنوا أرض مصر ،فسوّل له دهاءه أمرا استحسنه فى نفسه ،وراح للخليفة يدعوه لحسن وفادتهم وإرضاءهم بكل غالى ونفيس ثم ألقى إليه حيلته بأن يكتب لهم عهد الأمن والآمان ويقطع لهم العطايا من أرض مصر وإعادتهم إليها بألوف من حمول الهدايا والأموال فإذا سمع عامة المسلمين بفعله زادت عندهم هيبته وأعظموا له فروض الطاعة والولاء واستتب له الأمر فى شرق دار الإسلام

وغربها ثم طلب من حجابه وتابعيه المرور عليهم وتسجيل نسب كل منهم كما أتى بكتاب والى مصر وقضاتها وعلماءها ،وأعطاهم هذه الأنساب مجمعة فى رقاع ولكل فرد فيهم عطية باسمه ونسبه ،ثم أتبعها بأمر من خليفة المسلمين أن يحسن لهم ويقطعهم كل بحسب ما لهم من أرض مصر ،فلما عادت الجموع محملة بالأموال والهدايا ظنّ النّاس أن الخليفة أمّن وأكرم آل البيت الحقيقيين ،وبعث معهم تلك الهدايا والعطايا التى أخذ الحراس يلقونها عليهم كإيعاز من حاجب الخليفة ،فصارت تهتف له الناس أياما وليالى ، وأسقط فى يد الوالى وقضاته وعلمائه إذ كيف يثبت نسبا شريفا للجوارى والمخالفين أبناء الغجر ويقطعهم من أرض مصر ،فإن عارض افتضحت حيلته وغضب عليهم الخليفة ،فلما احتار فى أمره حاول جمع ما معهم من صحائف الأنساب إلا أنهم استحسنوا خديعة الحاجب الذى أوعز لقوادهم بحيلة والى مصر وأهلها ،فاتفقوا أن يردوها عليه بمكيدة ،وأنزلهم أحسن المنازل بأرض المحروسة كما جاء فى كتاب الخليفة ،وحوقل ودعى الله أن يعينه على أمرهم فصار من يومها الغلمان والجوارى وقطاع الطرق من كبار التجار وأصحاب الدور ،وبقى أهل الشرف والنسب على حالهم فى ربوع الديار المصرية المختلفة يأكلون من كد يدهم ويعملون ليعفوا أنفسهم واستخفوا بين الناس ،فعلمهم من جاوروهم وتنكر لهم الآخرون ،فخاف الوالى وعلمائه وقضاة مصر من تعاقب الزمان فإن دارت الدنيا دورتها نسى الناس أصول الشرف واتبعوا أهل الزيغ والزلل وصارت لأبناءهم الأنساب الكاذبة بأمر سلطانى من خليفة المسلمين ، فاتفقوا أن يثبتوا لديهم النسب الأصيل لآل البيت وعترته فى صحائف مكرمة يتبادلونها مع أكارم الناس وفضلائهم بأرض مصر مع حواشى خلفها تبين حقيقة أهل الغجر والجوارى والغلمان ممن حيكت بهم مكيدة حاجب الخليفة" وبعدما قرأه له أخبره أن جدهم الأكبر وكثير من بنى دريعة فى مصر وأرض الحجاز أبناء هؤلاء المكذوبى النسب فلما ذهبت السنون وأتت غيرها وعادت ، وأتى عام ١٩٩٠بمصر بعدما دخل الغرباء الغربيين أرض الحرم والحجاز حماة له والتفوا حوله فى قواعد عسكرية بسبب دسيسة وقع فيها العراق وحاكمها كثاني خديعة يقع بها العرب بعد خيانة الإنجليز للثورة العربية الكبرى

،وثبتّوا فى حكم الحجاز شرزمة من مكذوبى الأنساب حتى لا تلتف العرب من جديد فى كلمة واحدة على أيد قائدها الحسيب الشريف ،فأعيدت نقابة الأنساب وأخرج البعض مشجراتهم الباطلة ودنسوا على الناس أصولهم ، كما خشى أمير البلاد ووالياها منذ سبعمائة عام ،ثم قال له:

- لقد علم صديقك المصرى كل ذلك من أول مرة نظر فى وجهى وعلمت أنه من ذوى الحسب والنسب وأهل مصر الكرام فأرسلت له من تغريه ودسست عنده من يستميله وأوقعنا به فى الشرك وحكمت عليه الجموع بتقطيع أوصاله كحكم الدين فى المخالفين والخارجين على ولى الأمر وأنت الآن على نفس المصير ..فازدادت سيول الدمع من عينيه وترحم على صديقه واستغفر وبات ليلته يبكى ويستغفر وظنه الجهال يسترحم الإمام فلما آتى الفجر تيمم بعدما منع عنه الماء وصلى صبحه ثم تبعه بركعتى الجنازة على روح صديقه وروحه وقال فيهما:

- اللهم ارحمنى وارحمه واغفر لى جهلى وكفرى تبت إليك وأنا من المسلمين لا إله إلا الله محمّد رسول الله أموت عليها يقينا لاكذبا اللهم لا تمكن لهم فى أرض المسلمين، وبارك اللهم فى أرض مصر وأزهرها، وبصّر أفئدة علماءها .

٧- صاحبة الحضرة والولاية الحاجة "نوال"

فى جو تفوح منه رائحة دخان البخور، وداخل صالة فى إحدى المناطق الراقية، تجمعت بعض النسوة الكل يرقص بشكل هستيرى على أصوات دقات طبول وأغانى غريبة ، أشبه ما يكون بدقة الزار التى كانت شائعة قديما ثم تطورت الآن بهذا الشكل الجديد الذى اتخذت من حضرة الذكر للبهاليل والدراويش شكلا ملائما حتى لا تلاحقها يد الأمن لما شاع عن مفاسد حفلات الزار، وهاهى تصبح أكثر إفسادا مع مدعى الصوفية ولا تفترق عنها كثيرا بل زاد أمر الإختلاط وتداخل الرجال بالنساء فى بعض الموالد العامة ،حتى تجد امرأة تسلم نفسها لرجل أو عدة رجال فيتناوبون غشاوتها وسط هذا الكم من التجمع ،ولها نفس الطقوس إحداهن تشعل البخور وأخرى تدق الطبل وتضرب على الدف هى وبعض من معاونيها أو تشغل الآن فلاشة بأصوات وموسيقى غريبة يسمونها مديحا ، وترتفع أصواتهم بأغان وتراتيل ، ويقومون بالتمايل بأجسادهم يمينا ويسارا فى حركات تبدأ بسيطة وتنتهى بشكل هيستيرى، ثم تغادر من أتت لقضاء وقت فراغها أو من تشعر بملل من مكوثها فى البيت الوثير ،أما من أتت للعلاج الروحانى لدى سيدة الحضرة فتسحب من يدها ويتم إدخالها إلى الحاجة نوال وربما معها بعض نسوتها اللاتى أتين معها أو بمفردها ،وبعد أن دخلوا لحضرة السيدة بعد أيام من الانتظار نتيجة كثرة المريدات ،وكل يوم تفد عشرات النساء فتنضممن إلى الحضرة التى لا تنقطع بالصالة الصغرى على جانب المدخل الأيسر غير تلك التى تكون فى مدخل الفيلا بجوار الحديقة تحت مظلة مسقوفة من ملفوف وجهنميات تحيطها شجيرات تتخللها جوانب خشبية مطرزة بالأرابيسك تأتى كل يوم فيه أيم امرأة تشعر بضيق أو ملل فتدخل فى جلسة الحضرة دقائق أو ساعات وما إن ترتاح تغادر بلا طلب أو تبرك من الشيخة ، وإن كانت ذات حاجة أو راغبة بالقربى ادخلت إلى الحضرة الداخلية وتنتظر يد إحداهن من تابعات صاحبة الولاية التى تسحبها وتأخذها للخلوة الخاصة ،وقد اعتادت هذه الوصيفة انتظار انتشاء النسوة وغرقهن فى تأثير البخورات التى تطلق من عدة مباخر على جانبى غرفة

الحضرة الخصوصية ،ودخلتا معا بعد أن امتدت إاليها يدة السيدة نتيجة إخبارها بمرادهن من طلب مساعدتهم فى بحوثهم العلمية وتوثيق مثل هذه الجلسات الروحية على النساء ،ودخلتا خلوتها التى كانت عبارة عن غرفة مربعة الشكل فى دور أول لفيلا متعددة الأدوار متسعة الأرجاء مدخلها إلى أعلى ،لها سلمين على جانبى الصالة الوسطى وبها بدروم تحت الأرض ،إذ تنزل طالبة البركة والعلاج مستويات مختلفة عن بساط الأرض كلما مشيت عدة خطوات مستقيمة بعدما أصابتها السنين بمرض لين العظام ،وكانت تجلس على كرسى مستطيل مرتفع جدا نصف دائرى فى ظهره ، كعرش مزخرف الأجناب مكسو بالحرير مفروش بالقطن ،وبجواره كرسى أسفله يصل ليدها إذا أرادت من إحداهن أن تقترب وتلمس رأسهاوجسمها للتبرك، وقبله كنبة تجلس عليها المريدة ومن أتى معها أول دخولها وتروى مشكلتها قبل أن تطلبها الشيخة وتمسح على رأسها علامة الرضى والقبول، وإن أرادت إظهار المودة أمرت الآتية بالصعود على درج والجلوس بجوارها على يمينها تتحس جسدها وتمشى بيدها عليه من أسفله لأعلاه ،وهنا أخبرتاها الحقيقة وأنهما علما بأنه هى "أم قرقر" فأمرت الوصيفة بتركهما معها على إنفراد واستفسرت منهما عن الذى أرسلهم ،فإن الذين يعرفونها من قبل عدد محدود وقلبت عينيها فيهما جيدا بعدما رفعت النظارة الطبية المذهبة التى أهديت لها من إحدى أميرات الخليج العربى بعدما أتتها وجلست بين يديها فى الحضرة وشفيت من مرض العصاب الذى كان بها كما أذاعت بين عامة أميرات الخليج ونسوة أمراءها

- أنتم من أى بلد ؟ومن أرسلكم ؟
- نحن مصريتان ،وتعرفنا على قصة أم قرقر من الدكتور رأفت حلمى زكريا
- رأفت حلمى زكريا هو لسه عايش!؟ ،وأين التقتموه ؟
- التقيناه هنا فى القاهرة إذ أنه الآن أحد الدبلوماسيين ممثلى الدول
- أكيد لبنان

- لا ؟وهنا ابتسمتا قليلا
- السودان الجنوبى
- السودان الجنوبى ؟آه الملعون أنجبته الحريم السمر
- وإيه طلباتكم ؟
- حضرتك ! إحنا لدينا أربع طلبات
- ياه أنتم طماعين جدا ألا تعلمون كثرة المريدات وطالبات العلاج والبركة
- نعلم ونرجو أن تمنحينا هذه الفرصة
- هل أنتم تنتميان لأية صحيفة أو قناة إعلامية
- إطلاقا بل نحن دارستان دكتوراه ولدينا دراسة خاصة
- دارستان دكتوراه !! وكأنها تفهم الكلمة وارتاحت كثيرا لما نفتا أنهما صحفيتين ، ودراسة خاصة عن إيه وما علاقتى أنا بذلك
- حضرتك دا الطلب الرابع إننا نأخذ مجموعة قصص عن بعض السيدات اللاتى تعاملتى معهن وأثر الختان عليهن ،ثم أومأت لها رأسها بعدما عدلت من جلستها على الكرسى واقتربت قليلا من حافته لتراها عن قرب أكثر
- أما الأول فهو يتعلق بقضية كانت مشهورة بمصر
- قضية ؟!
- قضية وردة التى قتلت أمها بخنقها ؟
- آه وردة المسكينة يااااااه دى مرت سنيين منذ غادرت الصعيد ،قتلت أمها شربات! ليه وإيه السبب؟ ومتى ذلك ؟،على العموم إنى كنت أظن أن شربات هى

التى ستقتل وردة وليس العكس ثم تنهدت طويلا وتحسرت على وردة وكأنّها تذكرتها بشيء خاص

- والثانى تاريخ ونشأة نجوع القرقرانية فى صعيد مصر

- والثالث علاقتك بالشيخ الإمام خليفة الإسلام فى الهند وباكستان السيد القرقرانى

- ثم نظرت مليا حولها وعادت كما كانت فى جلستها وصمتت بعض الوقت ثم نطقت وقالت :

- الثانى والثالث لا يمكن أن أروى عنها شيء أما قضية وردة بنت شربات سأحكيها لكم ومنها تتعرفون على بعض قصص النساء- وفرحت كثيرا الطبيبتان

- إحنا حضرتك هنكون شاكرين جدا وسنكتب كل ما تقولين بالحرف

- لا لا لن أسمح لكما بذلك بأى طريقة وإنما سنجلس جلسة خاصة فى الخلوة الشخصية لى ،وأنا احكى لكم ثم بعد أن تذهبا ترويانها بطريقتكم ،فنظرتا حولها ولبعضها بشك وسؤال وجهتاه إليها أليس هذه الخلوة الخاصة وأشارتا للمكان حولها

- نعم هذه الخلوة الخاصة التى التقى فيها العامة مع تلك الوصيفة وأشارت للسيدة التى غادرت من قليل أما خلوتى الشخصية فهى هناك وقليلا ما أسمح لأحد بدخولها معى ونظرتا قليلا فوجدتا طريقا مستقيما وبعيدا على يمينه مدخل آخر يبدو أن به غرفة خاصة تسبقه غرفة صغيرة يتضح نشع الماء حولها فأيقنتا أنها غرفة استحمام إذ أن دورة المياه لمحاتها على يسارهما وهما داخلتان ،ووافقتا :

- بعد يومين تأتيا إلى من بعد العصر وستدخلكما الحاجبة بشرطين الأول لا تصطحبا معكما أى شيء لا مسجلات ولا كاميرات وإن كانت معكما هواتف ستتركانها بخارج الحضرة ،وثانيا أن تكونا فى هذا اليوم طاهرتان وهنا نظرتا لبعضهما وشعرتا بشيء

غريب لهذا الطلب فقد كشفتا لها سر مجيئهما وأنهما ليستا من المريضات اللاتى تحتجن العلاج ثم دخلت الحاجبة

- حضرتك هاتين السيدتين قضيتا وقتهما فهل أعد التالية أم ستنتظران أكثر
- لا انتهتا وستأتيان بعد يومين عند العصر فافعلى ما يلزم ،ثم أشارت لهما وهما قد وقفتا وتحركتا للمغادرة بأن تقتربان منها لتلمس رأسيهما وتأخذان البركة فذهبتا وصعدتا الدرج فأملست على رأسيهما ونزلت بهما على خديهما وهنا اتسعت شفتا الحاجبة بابتسامة فقد أدركت مراد صاحبة الكرامة وغادرتا من باب آخر غير الذى دخلتا منه .

وبعد مدة من السير التفتت إحداهما للأخرى وتشككت فى أمر السيدة نوال وما شعرتا به من شىء غريب لايعلمانه بالضبط نحوها ،ولكنهما قررتا أن تذهبان واتفقتا أن تأتيا بجهاز تسجيل صغير الحجم يخبىء بين أجزاء جسدهن فإن اكتشف من واحدة فيهما ظل الثانى مع الأخرى ،وفى منتصف طريق الشارع المنتهى من مدخل الفيلا أوقفها أحدهم وهدأتا السيارة الأجرة التى كانتا تركبانها فأتى إليهما وسلم عليهم وعرض عليهم حقائق عن الحاجة نوال إن رغبتا فى ذلك ،واطمأنتا إليه بعدما أخبرهم أن الذى أرسله صديقهم فى البحث والدراسة الدكتور /محمود حمدان ثم أعطاهما بطاقة تعريفية له بها أرقام هواتفه المحمولة والمكتبية ،وتحت مسجل محامى أحوال شخصية وهزتا رأسيهما أن ستنتظران فى الأمر وأخرجت الثانية هاتفها لتتصل بزميل البحث إلا أن الأولى أخبرتها تأجيله حتى يجتمعوا من غدهم لمناقشة جوانب الرسالة وموضع زيارتهم المقبلة ، ، وقبيل اليومين أخذوا إذنا بزيارة المصحة العمومية لإلتقاء وردة بها ،وهذه المصحة كانت فى الأصل قصرا لأحد الأمراء اندلع فيه حريق كبير التهم القصر ولم ينجو من ذلك الحريق سوى مبنى مكون من طابقين تم طلاءه باللون الأصفر وتحول بعد ذلك إلى أول مستشفى للأمراض العقلية بالقاهرة ،وله الآن أربعة أقسام أساسية واحد للرجال وآخر للنساء وقسم لوحدة علاج الإدمان منقسم رجال ونساء وقسم داخلى للأطفال والمراهقين ،يصرح للأهالى بزيارة

ذويهم يوميا من العاشرة صباحا حتى السابعة مساء ،وملحق بها العديد من العيادات الخارجية الخاصة بالطب النفسى والإدمان لمختلف شرائح المجتمع ،بالإضافة لمدرسة تمريض ومعامل للتحاليل، أما فيما يتعلق بحالة وردة بنت شربات فتخضع طبقا للقانون الجنائى الذى ينص على أنه :(إذا استلزم التحقيق في جناية أو جنحة معاقب عليها بالحبس مدة لا تقل عن سنة فحص حالة الإضطراب النفسي أو العقلي للمتهم، ومدى تأثيرها على إدراكه، واختياره، تعين عرض الأوراق والمتهم بناء على طلب النيابة العامة أو قاضي التحقيق بحسب الأحوال على محكمة الجنح المستأنفة منعقدة في غرفة المشورة، للأمر بإيداع المتهم تحت الملاحظة في إحدى منشآت الصحة النفسية الحكومية، والتي يصدر بتحديدها قرار من المجلس القومي للصحة النفسية لمدة أو مدد لا يزيد مجموعها عن خمسة وأربعين يوماً، وتكليف المجلس الإقليمي للصحة النفسية المختص بانتداب لجنة ثلاثية من الأطباء النفسيين المقيدين لديه لفحصه، وإعداد تقرير طبي يتضمن تقييماً لحالته النفسية والمرضية وقت ارتكاب الجريمة، ووقت إجراء التقييم والخطة العلاجية المقترحة، حال ثبوت إصابته بالمرض النفسي أو العقلى) ويجوز للمحكمة تجديد مدة الإيداع تحت الملاحظة لمدة أو مدد أخرى بناء على طلب المجلس الإقليمي للصحة النفسية المختص على ألا يزيد مجموع مدة الإيداع في جميع الأحوال بالمنشأة عن ثلاثة أشهر. ويعتبر أمر الإيداع المشار إليه بمثابة أمر حبس احتياطي يتعين خصم مدته من مدة العقوبة المقضي بها على المتهم إذا ثبتت سلامته من أي اضطراب نفسي أو عقلي، وينتهي الأمر بقوة القانون بانتهاء مدته دون تجديده أو من اليوم التالي لإخطار النيابة المختصة أو قاضي التحقيق بحسب الأحوال بإعداد التقرير الطبي النفسي الخاص بالمتهم، قبل انتهاء المدة المحددة للحجز، ويتعين على النيابة المختصة أو قاضي التحقيق الأمر بإيداع المتهم مؤقتاً بإحدى منشآت الصحة النفسية الحكومية، والتي يصدر بتحديدها قرار من المجلس القومي للصحة النفسية إذا ثبت إصابته بالمرض النفسي أو العقلي دون حضوره لحين التصرف في الأوراق أو حبسه احتياطياً أو مد حبسه احتياطياً وفقاً لأحكام الحبس

الإحتياطي المنصوص عليها في هذا القانون أو الإفراج عنه، إذا ثبت سلامته من أي اضطراب نفسي أو عقلي. وإذا ثبت من التقرير الطبي النفسي أن المتهم غير قادر على الدفاع عن نفسه، بسبب اضطراب نفسي أوعقلي، طرأ بعد وقوع الجريمة، يوقف رفع الدعوى عليه أو محاكمته حتى يعود إليه رشده.ويجوز في هذه الحالة لمحكمة الجنح المستأنفة منعقدة في غرفة المشورة بناء على طلب النيابة العامة أو قاضي التحقق بحسب الأحوال، أو المحكمة المنظورة أمامها الدعوى، إذا كانت الواقعة جنائية أو جنحة عقوبتها الحبس مدة لا تقل عن سنة إصدار الأمر بإيداع المتهم في إحدى منشآت الصحة النفسية الحكومية، والتي يصدر بتحديدها قرار من المجلس القومي للصحة النفسية، لتلقي العلاج والرعاية الطبية إلى أن يتقرر إخلاء سبيله، وفي جميع الأحوال تخصم مدة الإيداع من مدة العقوبة التي يقضي به ،ولا يحول إيقاف الدعوى الجنائية لإصابة المتهم بالمرض النفسي أو العقلي دون اتخاذ إجراءات التحقيق التي يرى أنها مستعجلة أو لازمة.وإذا ثبت من التقرير الطبي النفسي أن المتهم يعاني من اضطراب نفسي أو عقلي أدى إلى إنقاص إدراكه أو اختياره دون أن يفقده، يجوز للمحكمة أن تقضي بقيام المحكوم عليه بتنفيذ العقوبة المقضي بها في إحدى منشآت الصحة النفسية الحكومية التي يصدر بتحديدها قرار من المجلس القومي للصحة النفسية لتلقي العلاج والرعاية اللازمة..

قرأوا كل ذلك وهم مجتمعون قبيل الدخول لغرفة إحتجاز المتهمة المريضة وهى معلومات أمدهم بها ذاك المحامى الذى التقاهم وتصادق مع ثالثهم ،ودخلوا على وردة ووجدوها كما هى منذ أول يوم شاهدوها فيه ،فتاة ممتلئة الجسم قوامها ممشوق كثيفة الشعر طويل ناعم جدا متدلى على الجانبين بالخلف من تحت طرحة بيضاء أكسبه لمعان آخر ، تحتها عيون يرسمها كحل طبيعى مدورة مقلتيها بهما سواد على بياض لامعين ،وبالخد الأيسر حسنة خال كأنها قلب ،جسمها مشدود الجلد رغم سمنتها ،ناهدة الثديين بارزين كلما تحركت ترقرقا على صدرها فاشتهاها كل من نظرها ، كانت شاردة واجمة ذابلة العيون من كثرة

السهر وعدم النوم ،كما أخبرتهم الطبيبة الملاحظة وجلسوا معها فلما رأت تمعن الرجل بها أمرتهم بإخراجه .

- طلعوه برة وإلا فلتغادرو جميعا فخرج وبقيتا معها وأخذتا تسألانها عن حالها وما حدث لها خلال هذه الأشهر وبدا عليه الهدوء أكثر من الجلسة السابقة قبل الحكم بإيداعها المصحة ،ثم جاءت الطبيبة المعالجة وجلست معهم ثم عدلت جلسة وردة ورتبت لها شعرها حول رأسها

- وردة بنت جميلة مطيعة لكنها لا تريد الكلام فأرجوا أن تطمأن وتحكى لكما شيئا

- وردة احنا ستات زى بعض نطلب منك أن تحكيي لنا بعضا من حياتك الشخصية أقصد زواجك ؟من هو أحمد الزين ؟

- ثم تنهدت طويلا وكثيرا وأدارت رأسها يمنة ويسرة ووضعتها على كفها الأيمن ثم اعتدلت :

- أحمد الزين شاب بسيط كان مزارع من عائلة "على العرابى"ناس مشهورة ولديهم أرض من قديم ،والده من الفرع الفقير لم يكن لديهم سوى عشرة قراريط يزرعون منها سبعة بالقصب والأخرى قمحا أو برسيما لم يكمل تعليمه مثلى وحيد أمه ، يتيم توفى أباه قبل زواجنا بأربع سنوات ، فرغبت أمه بتزويجه ولكن كثير من أهل والده رفضوا أن يزوجوه بإحدى بناتهم لما رأوه من تخاذل فى شخصيته ، كان كتوما جدا وافر الجسد يرعى أرضه بهمة ، فأخذت أم قرقر تزين لشربات هذا الشاب بعدما أوصتها أن تبحثى لى عن زوج يكون طوع بنانها وفى نفس الوقت منتسب لعائلة معروفة

- ألم يعترض أحد من أهله ؟

- بل اعترضوا كلهم مرة واحدة ، فطلبت أمه تزوجيه من إحدى بناتهم أو أخذه وتقديمه لإحدى عائلات أصهارهم وأنسابهم فأعطوها أملا خائبا ، فلما فشلت معهم لعدم قبولهم أن امرأة تضع يدها بيد رجل لتخطب لابنها صبية منهم ،فمالت إلينا

- وهل رأت أمك أحمد الزين من قبل أو عرفته ؟

- كثيرا فقد كانت تذهب إليه وتأخذ منه برسيما وقمحا وأعواد قصب

- ألم تعلم أمه بسيرة شربات ؟

- لا لم يكن أحد يشعر أو يعلم بما تفعله فقد كان بينها وبين أم قرقر

- وهل وافقتى على الفور ؟

- نعم فقد كانت ترسلنى إليه لآخذ من أرضه أعواد القصب لنا ، أو برسيما لبقرتنا

- وهل أحببته؟ وأرادت أن تخفف عنها حالتها وتذكرها بما يحسن مزاجها

- حب لا أدرى ولكنى ملت إليه كثيرا ،ولا أكذبكم القول أننى فى إحدى المرات بعدما علمت من تردده وخجله أخذته لداخل غيط القصب وقبلته وأحتضنته.

- وماذا فعل هو ؟فضحكت وتورد جميع وجهها لأول مرة

- إحمر وارتجف وعرق ،وراح وألقى بنفسه فى مياه مكينة الرى ليتطهر وخشى أن يكون أحدهم رآه ، فقد كان مواظبا على الصلوات لا ينقطع عن الجامع .

- وبعدها ألم يحدث شيء آ ؟خر فابتسمت وظهرت لأول مرة أسنانها متلألئة مرصوصة بينها تباعد طفيف

- ذهبت إليه عدة مرات أخرى فكان يلقى حزم القصب أو حمل البرسيم بجانب الغيط ويتركنى ،إلا مرة..... فقاطعتها طبيبة المستشفى بعدما ساد جو من الألفة والراحة

- ماذا حدث ؟

- أخذنى إلى داخل تظليلة بداخل القصب كان يجلس بها دائما قريبة من مكينة الرى خالية من العيدان ممتلئة بحشائش النجيلة فضمنى مرة فضممته ثم أخذ يقبلنى وأرقدنى أرضا حتى كاد أن يعرينى

- ها ثم ماذا ؟هل هرب ؟سألتها الأخصائية

- لا

- وما الذى تم ؟ ..سألتها الأخرى

- صرخت فينا أمه فقد كانت آتية لتجلس معه جالبة بعض الجبن والخبز له وأمسكت بى ففر هو من أمامها ثم سألتنى من أنت وابنة من ؟ فلما أخبرتها قالت لى :

- أنت وردة بنت شربات وأخذت تلفنى وتدور بجسدى وتحسست بطنى وصدرى وأخبرتنى أنتى جميلة جدا وملساء الجلد وطويلة الشعر ذو السواد اللامع وأن أم قرقر لم تحسن الوصف وضمتنى فى حضنها عدة مرات وراحت تتحس ظهرى من أعلى وأسفل ،وأمرتنى بالتجهز لأنها ستأتى به ويتزوجنى ،فطرت إلى البيت وسألتنى شربات وكدت أخبرها حتى تذكرت حالها وسيرتها فكدت أرجع مسرعة لأم الزين أرجو منها ألا تفعل ،فأمسكتنى وضربتنى حتى رويت لها كل شىء وأمرتنى بالمكوث بجوارها بانتظارهم وعدم الرفض أو البوح بشىءثم أتت بقطعة خشب طرفها مسود من نار سابقة وهددتنى: - ولا تخبرى أحد عما كان يحدث هنا وإلا.... فخفت أن تفعل بى كسابق عهدها فسكت ثم وافقت على الزواج به .وأخذت تبكى بشدة حتى أغمى عليها فتدخلت طبيبة المصحة و ساعداها فى ذلك ونقلت إلى حجرتها ،ثم غادرتا بعدما خاب أملها فى هذه الزيارة ،وبعدها بيوم ذهبتا إلى موعدها .

٨- "مذكرات رأفت المصرى فى خمسين عاما "

ونتيجة لبلاغات متعددة وكثيرة وبعضها قديم ألقى القبض على الطبيب رأفت بصفته المصرية بعد شكوى كنيسية تتهمه بتأسيس طائفة دينية مدعومة من جهات غربية تعارض مجلس الكنائس الشرقية وتحارب أنظمتها الأساسية بجانب تقارير وصلت لجهات عليا عن نشاطاته السرية مع جماعات خارجية وأنظمة دول لتتبع حالة المجتمع المصرى ومكث عدة أسابيع بالحبس الإحتياطى ، ورفضت كثيرا احتاجات الدول التى يحمل جنسياتها خاصة فرنسا وقد تم أخذه من الشاليه الخاص به على بحر الإسكندرية وكانوا بإنتظاره منذ عديد السنين امتنع فيها عن المكوث به، لعلمه بالقضايا القديمة ضده وبعضها صدر لها حكم نهائى بالسجن ، واقتيد إلى إحدى المصحات الطبية التابعة للشرطة نظرا لكبر سنه وتعدد أمراضه ،وما إن هدأت عاصفة الإحتجاجات على سجنه بدأ معه التحقيق فى البلاغات والقضايا الجديدة ،وهناك بالمستشفى طلب إذنا لحضور مجموعة الدراسة العلمية فحضروا ،ثم أصرّ إليهم بمذكراته التى أودعها إحدى خزائن بنك مصرى وأعطاهم رقمها ومفتاحها وقدم التماسا لإدارته بالسماح لهم باستلامها ،ووافقوا على ذلك بعد عدة أيام من تقديمه توكيل للباحث ، وأخذوها وقرروا قراءتها جيدا وإخراجها ككتاب أو تضمينها بدراستهم كم رغب هو وكانت بدايتها "مذكرات رأفت المصرى فى خمسين عاما "..

وفى أحد فصولها يقول أنه عمل محلل طلاق لعدة مسيحين وكان ذلك عن طريق الإتفاق مع الطرفين ،فذكر أنه يقوم بإلتقاء السيدة فى شقتها ثم يأتى الزوج ويدّعى أنه فوجىء بزوجته فى أحضان رجل غريب ،ويدعو الناس ليكونوا ناظرين للخطيئة ثم يتوجه لكنيسة الطائفة ويطالب بالطلاق لعلة زنا الزوجة ،ويقرر فى مذكراته أنه فعل ذلك فوق الألف مرة أغلبها فى مصر ،وبالأخص مدينتى الغردقة والإسكندرية والتى ازدادات بهما حالات الإنفصال الزوجى ،وفى الأغلب بسبب أن الزوج أصبحت له عشيقة أوربية ممن يترددن على البلاد بحجة السياحة والعلاج وأحيانا مقيمات بها.

- ووجدوا فصلا معنونا "البابا حامل .مبروك عليكم كرادلة الفاتيكان "وفيها يحكى أنه وجد وثيقة لأحد البروتستانت الإنجليز بإحدى سفرياته لأوربا لدراسة اللاهوت على مذهب الطائفة ،ففوجىء بها ضمن إحدى الأوراق المحفوظة بمكتبة الكنيسة التى كان يأخذ بها دروس التدين ،وفيها صورة لمجموعة كاردلة روما يتوسطهم البابا ومن أسفل منه طفلا صغيرا أحاطه بإطار أحمر .

وتحتها روى قصة البابا جون الثامن وهو الأنثى الوحيدة التى اعتلت كرسى البابوية بروما ،لم تكن أسطورة أو حكاية من الحكايات بل حقيقة وواقع معروف إنه البابا ((فيكوس بابيسا)) المعروف بالبابا (جون الثامن) والذي لايزال يحمل اسمه أشهر شارع في إيطاليا والمسمى ((شارع البابا الأنثى)) والممتد من حضيرة الفاتيكان الخلفية حتى شارع القديس بطرس وهو الشارع الذي حدثت فيه نهاية هذا البابا وطفله . كانت امرأة جميلة لاهوتية رائعة هام بعشقها أحد الكرادلة المرشحين لكرسي البابوية ، فأجلسها على الكرسي الرسولي مكانه واكتسبت لقب ((البابا جون الثامن)) ونقل نصا من الوثيقة يقول " كانت كلبيتا جوتا Gilbetta Jutta ، ابنة عائلة إنكليزية تعيش مع عائلتها في ألمانيا حيث كان والدها يعمل قسيسا كبيرا في المانيا. درست جوتا الفلسفة واللاهوت وهي في عمر (١٢) عاما في مدينة آثينا اليونانية ثم قررت الرحيل إلى روما. ووقعت عينا الكردينال عليها وهام بها حبا. ثم ارتدت ملابس الرجال حتى تستطيع الإختلاء بالكردينال وهكذا عُرفت على أنها رجل وأن اسمها ((جون)) ،وتدرجت في المناصب حتى وصلت إلى نائب الكاردينال ، ولكن حدث ما لم يتوقعه أحد بعد وفاة البابا (ليو الرابع) عام (٨٥٢م) فقد رشحها الكردينال لكرسي البابوية وعن طريق الرشوة والمحسوبيات والتصفيات والتهديد تم انتخابها وأطلق عليها إسم ((البابا جون الثامن)) ولا يشك أحد على أنها ليست رجل

خصوصا وأن البابوات في ذلك الوقت قليلي التواجد بين الناس. واستمرت تجلس على الكرسي البابوي لمدة عامين وخمسة أشهر وأربعة أيام. ولكن القدر شاء أن يفضحها حيث حملت جوتا بطفل من عشيقها الكردينال وانتفخت بطنها فاضطرت للبس الملابس الفضفاضة لتخفي الحمل ،واتفقت مع الكردينال على الذهاب في دير بعيد للولادة هناك ،ولكن كان عليها حضور احتفال كبير قبل ذلك ، وبينما هي في الطريق حيث يحف بها الكرادلة من كل جانب أخذت بالصراخ وقامت تتلوى في الشارع ولا يدري أحد ما السبب ،وفجأة سمع الجميع صوت صراخ طفل من تحت البابا . وأصيب الكرادلة بالرعب من هذا المشهد ولكنهم اكتشفوا عظيم الخدعة التي انطلت عليهم أمام الجماهير الغفيرة التي كانت تلوح للبابا مهنئة وكان البابا يرسم الصلاة عليهم بإشارة من يده . فاضطر الكرادلة أن يهجموا على البابا وطفله ويُشبعوهما رفسا ورجما بالحجارة وضربا بالصولجانات حتى تناثر لحم البابا وطفله وسط الشارع ، والجماهير في سكرتهم يعمهون لا يعلمون ما الأمر وحدث هرج ومرج شديدين. بقيت هذه الحادثة مشهورة طيلة سنوات وامتلأت بها بطون الكتب وأرّخها المؤرخون حتى مجيئ البابا (بيوس الخامس) أواخر القرن السادس عشر حيث أمر بإزالة كل ما يتعلق بهذه الفضيحة من أرشيف الفاتيكان وأزالوا اسمها من قائمة أسماء البابوات السابقين ثم ابدلوا لقب البابا جون التاسع إلى جون الثامن حتى يطمسوا الحقيقة تماما. ومنذ ذلك التاريخ عمد مجمع كرادلة الفاتيكان إلى إحداث (كرسي الولادة المفتوح من الأسفل) لفحص كل بابا يُرشح نفسه لمنصب البابوية حيث يجلس البابا على هذا الكرسي ثم يأتي شاب (خصي) ويمد يده ويفحص البابا ((يتلمسه)) وبعد التأكد يصرخ الخصي (Duo testis bene bondeta) وترجمتها : ((أنه مزدوج الخصيتين)) ، وهكذا أصبح أمر البابوية يقرره خصي . ولكن ماذا لو تم إعطاء الرشوة لهذا الخصي ليعلن غير الحقيقة ؟!

- وبعدها يقرر أنه اتفق مع أم قرقار على أن تفعل مثل ذلك بإحدى كنائس الطوائف الأجنبية فى مصر وكان هو قد انضم إلى مجلس الكنيسة وأراد اختبار رجال

هذه الطائفة ،فأجلسوها على الكرسى وتفحصها أحدهم ثم ألجمته المفاجأة أنه أقر بذكوريتها وبقيت لمدة عام رئيسة أساقفة هذه الكنيسة حتى أنه اضطر للإتفاق مع إحدى اللاتى كانت تترددن عليه وزيارتها بالمقر الخاص وإدعاء مشكلة مع زوجها ثم انتظرها وفاجأته بالمفاجأة الأخرى

- لقد استمتعت معه أكثر منه هو (وظنها تريد أن تغريه بها ولكنها كانت صادقة فى قولها

- إزاى أم قرقر ؟! فتعجب مما سمع فأرادت الإستيثاق

- قصدك إمكرون ــ وهذا هو اللقب الذى أطلقه على أم قرقر- مارس معك فى المقر الخاص فأومأت بنعم "وهنا تعجبت الطبيبة وأعطت الأوراق لزميلها وتوقفت هى عن المتابعة والقراءة ،فأخذ قلما أسود وحدد هذه الصفحات بجملة" سرية "لحين ظهورها فى المذكرات" وأكمل لهم القراءة :

- هل لديه أقصد هل وجدتيه رجلا كاملا ؟!

- فتمتمت يعنى لكنه حاول ،وكان لديه أسلوب يشبع المرأة أكثر من الإيلاج الكامل ، وأظنه كان يخشى من الممارسة الكاملة ،وتعجبت أكثر مما قالت وصرخت:

- "إمكرون" إمكرون " وكدت أن أجن فقررت الذهاب بنفسى واكتشاف الأمر ،ودخلت عليها مقرها الخاص وعاجلتها قبل أن ترحب بى :

- كيف تمارسين الجنس مع الآتيات كرجل ؟

- هل أنت غاضب أنثى أمارس الجنس مع الآتيات ؟ أم كأنثى رجل ؟

- نحن نعلم ما يحدث من قديم بين كاهن الإعتراف وتابعيه ،أنا اسأل كيف استطعتى إقناعهم أنك رجل ؟

- ألم تسأل نفسك كل هذه السنوات أنا وأنت لماذا لم يجمعنا سرير ؟

- الحقيقة لم أفكر قبلا فيكى كامرأة، إلا مرات قليلة ولكن شيئا ما كان يمنعنى ؟

- سأقول لك الحقيقة على شرط أن تساعدنى كطبيب "فيقول فى مذكراته أنه وافق ثم أخذته لإحدى غرف الإعتراف، وجلست ورفعت قدميها بعدما تعرت ونظر إليها ومد يده يتحسس أعضاءها .

- ما هذا ؟

- كما ترى ؟

- خنثى ؟ ولكنه عضو كامل وهذه كأنها خصيتين ؟كيف ؟

- ثم أنزلت قدميها واتفقت معه أن يطهرها ؟

- أطهرك ؟هل ترغبين أن اقطع هذا العضو ؟إنها عملية كبيرة ولا أظننى استطيع

- بل أريدك أن تطهرنى كرجل ؟

- تختتنين ؟ أنا نفسى لم أختتن إلا من قريب ، واتفق معها وأخبر مجلس الكنيسة أن رئيسهم يريد أن يترهبن عن صدق ويمتنع عن شهوة الرجال،فحىّ كثير منهم سيدهم ،وجهزوا لهما غرفة كغرفة العمليات ،وشاع بين شعبهم أن سيدهم صار حصورا ،وأبدى كثيرا من التشفى فى هذه الطائفة إذ أنه أجرى لها ختانا أبرز عضوه الذكرى الصغير ليغدوا كبيرا وواضحا،وأكملت مسيرتها معهم عاما آخر حتى ادعى أنه يريد أن يترك المنصب ليترهبن بعيدا عن الناس ،وقد أقنعهم بذلك لما قرر أن يذهب إلى السودان الجنوبى مبعوثا رسوليا من مجلس أوربا،واتفقا على كتمان سرهما ،وذهبت معه إلى هناك سنة ،وبعدما استمتعا هناك بنسائهم ، ثم ارتحلت إلى أرض الدرعية عامين بدعوة خاصة من النائب الإنجليزى لسلطانها لما تكاثرت لديهم الجوارى والمحظيات فى هجير الدرعية ،والذى تعرفت عليه عندما أتى للسودان لاستجلاب جوارى وعبيد لسلطنتهم ، ثم عادت بعدها وقررت هى أن تصبح الشيخة "نوال "إحدى صاحبات الكرامة بالطرق الصوفية،بعدما لبست ثوب النساء فى درعية الهجير إثر هروبها من يدى أبناء الحجاز لمّا

علموا بوجود مبشر بروتستانتى على أرضهم ،وأصبح لها مريدوها الذين تكاثروا بالحى الأرقى بمدينة القاهرة .

ثم قلبوا الأوراق ووجدوا فصلا آخر عنوانه "كيف ولماذا أسلمت ؟" فنبههم جميعا وأخذ يقرأه عليهم بصوت جهورى وهم منصتين كجبل أسقط قمته زلزال ضخم :

- لن يصدق أحد أن الذى جعلنى أؤمن برسالة الإسلام هو نفس الموضوع الذى يهاجم الإسلام بسببه وهو المرأة وحقوقها ،وتحديدا نفسها وجسدها ،فالإسلام ينظر إلى المرأة على أنها زوج من زوجين ،والله خلق الجنس البشرى كما خلق كل شىء أزواجا ،وتحديدا أكثر أن الإسلام لا يحمّل المرأة مسئولية الخطيئة الأولى كما فى التوراة،بل إن آدم هو المسئول عن ذلك فيقول القرءان "وعصى آدم ربه فغوى" ..كما أن المرأة لها حق فى الميراث ولها أن تتصرف كما تشاء فى أموالها الخاصة ،أما فى الزواج فلابد وشرط أساسى أن توافق ،كما أن الإسلام أعطى لها حق المطالبة بالطلاق وتحصل عليه بلا عقوبة أو ذنب عليها بمجرد إقرارها استحالة العيش مع الرجل الذى تزوجته، بل إن الإسلام يعطى لها حقوقا كاملة بعد الطلاق من حضانة للأطفال إن أرادات أو السماح لها بالزواج الثانى ،أما القضية الشائكة والتى قربتنى أكثر لفهم تعاليم الإسلام فهى الخاصة بالختان ،والختان للذكورشريعة إلهية التزمت بها كل الشرائع السماوية إلا طائفة قليلة من المسيحيين لأسباب اجتماعية أو قبلية ، وأما ختان الأنثى تحديدا فلم أجد فى الإسلام نصا يصّر على قطع جزء من المرأة لسبب غير دينى ليس معروف أصله ،وأنها كانت عادة منتشرة جدا قبل الإسلام، وقد شاهدتها بعينىّ ومارستها بالسودان الجنوبى وأفريقيا الوثنية من بعده ،وإنما هذبها الإسلام بجعلها مكرمة لمن تحتاج أو للضرورة، وهى تختلف من امرأة لأخرى ومن بيئة ومجتمع إلى آخر ،وأكثر الذى دفعنى لهذا الموضوع أننى عندما تجولت فى جنوب السودان كانت هذه العادة منتشرة بين الوثنيين ومسيحيى الجنوب أكثر مما كانت فى الشمال المسلم بل إننى استفدت ماليا وجسديا بسببها فى هذه المنطقة ،فجسديا لمّا وجدت عدة قبائل جنوب السودان من عاداتهم أن الفتاة التى ترغب فى

الزواج أن أول من يجامعها لابد أن يكون من خارج قبيلتها ،والأفضل أن يكون أجنبيا أو بالمعنى القبلى رجل أبيض ،ولا أدرى هل هذه إرث من الإنجليز أم إنها كانت لديهم من قديم ،ثم بعد ذلك تتجه لإزالة الأجزاء الخارجية كاملة من فرجها وشده بعدة خيوط من شجر محدد لديهم ويقومون باتباع عادات تجعله يتسع ويأخذ شكلا معينا لديهم قبل اتمام زواجها برجل من أحدهم ،ظنا أن ذلك يبعد عنها الأرواح الشريرة ويساعدها فى المتعة الجنسية ويقلل لديها أوجاع الولادة وهذه الطريقة هى ما كانت تفعله أم قرقر وأخذتها عنها ،وكل من يختن ابنته فى مصر وغالبية الدول العربية يتبعون هذه الطريقة الآن،ولذلك وجدت أن الإسلام برىء ،وأنه ظلم فى هذه القضية وللأسف العميق أن أول من ظلمه شرذمة جاهلة من أهله اتبعوا العادات والشهوات دونا عن أصول دينهم وفقهه الربانى.

- وأما السبب الرئيسى الثانى لإسلامى فقد وجدت أثناء إطلاعاتى وقراءاتى عن الإسلام وما كان الغرب يحاولون بثه فى نفوس المسلمين من تشكيك بعقيدتهم أنه دينا كاملا ،فالإسلام دين يتميز بالوحدة والتكامل ،والتأمل والعمل وبين الذات والوجود فليس فيه "صدق ما يقال لك ولا تفكر فيه "كما قررت شريعة العهد القديم من التلمود فالإسلام يعمل على تحقيق التوازن بين رغبات الإنسان الطبيعية وحقوق من حوله من بشر وحيوان وكائنات بل ومن الطبيعة بأكملها ، وذكر منها أنه فوجىء بل صعق من وجود حالة اسماها بين قوسين "أم وأبو قرقر " فى المذاهب الإسلامية وقلبلوا جيدا فى دفتر المذكرات لعلهم يجدون ما يفسر هذا الاسم وتفاصيله عنه فلم يفلحوا إلا أنهم وجدوا جزءا أبيض مبدوء بعنوان "أم قرقر الرجل الأنثى "قصص واعترافات وترك له عشرات الصفحات البيضاء ،ثم يكمل :

- وهنا أحب أن اعترف بأننى أسلمت فى أثناء أعلى مراحل حياتى إنفلاتا فى أوربا وقبل أن أعود إلى جنوب السودان كممثلا لها هناك فقد فعلت كل شىء بداخلها وخارجها ولا يعلم أحد أننى طفت بقبائل السودان الجنوبية لأستمتع بفتياتهم الصغيرات الراغبات فى دخول عالم المرأة الناضجة ،وكان ذلك مباحا ومرغوبا من كل أفراد الأسر

هناك مسيحية أو وثنية وتمتعت إلى أقصى المتع ،ولكنى بعدما ارتحلت لأوربا ثم عدت إليها وجدتنى منجذبا للإسلام انجذابا تاما ،وأرجوا ممن يقرأ هذه المذكرات أن يتّبع وصيتى التى بآخرها – وهنا قلب قارىء المذكرات صفحاتها حتى وصل إلى نهايتها ومكتوب فيها وصيتى :

- إن قدّر على الموت بعيدا عن مصر فأرجو دفنى بها فى أحد مقابر المسلمين وليت أن تكون تلك الموجودة بالإمام الشافعى أو بقرب الأزهر الشريف ،ثانيا هناك عدة جمعيات بأفريقيا تعمل على بعث أبناءها لمصر للتعلم بأزهرها وأنتى متكفل ببعضهم وقد جعلت لهم من أملاكى وقفا عليهم ،فأنا إن مت فهى تحت تصرف مشيخة الأزهر للصرف على أبناء العالمين الأفريقى والعربى المبتعثين للدراسة بالأزهر الشريف – فجلسوا حيارى ووجدوا بيانا بأملاكه ومنها داخل مصر وبفرنسا وجنوب السودان الذى أقر فى مذكراته أنه كان يرسل منها عشرات الشباب للدخول فى الإسلام والدراسة بأرض مصر لعلها تكون قربى وصدقة يغفر بها الله له خطاياه التى كان يرتكبها ،فلما رغبوا فى إلتقاءه مرة أخرى لمحاورته أخبروا أنه مرض مرضا شديدا ودخل فى غيبوبة وربما تكون رقدة الموت. ولم تمضى أسابيع على قضيته حتى أعلن عن وفاته بإحدى المستشفيات خارج السجن فبادروا بنشر أجزاء من مذكراته فهاجت الدنيا وانقلبت أوربا وقررت وقف حملتها الداعمة له فيما كانوا يدعمونه ضد النظام المصرى وقضائه ثم أودعوا مذكراته بوصيتها لدى مشيخة الأزهر .واحتفظوا ببعض أجزاءها فيما يخص موضوع بحثهم وذكرياته وقصصه عن عادات الختان فى العالم كما رآها ومارسها كطبيب وهنا بدأت ضده الإتهامات الغريبة بالإغتصاب والقتل العمد والتجارة الجنسية لفتيات وأطفال أفارقة .

٩- اعترافات أم قرقر

وكانت ثانية القضايا التى هزت المجتمع إلقاء القبض على الشيخة "نوال" ذات الولاية صاحبة أكبر طريقة صوفية "القرقرآنية" وما اتهمت به السلطات تلك المدعية من إدارة مقر سكنها لارتكاب الأعمال المنافية للآداب ،واستغلاله لترويج المواد المخدرة والمسكرة والمتجارة بالفتيات الصغيراتظ، وتجمعت المئات من التابعات والمريدات أمام مقرات الحكومة والقضاء للمطالبة بالإفراج عنها متهمة إياها بتسيس عملية القبض بعد تهديدات الإمام القرقرانى "مدعى المهدية "بالهند وباكستان بالإستيلاء على الدولة المصرية وظهور نائبه "والى ولايات مصر والسودان " وهو ما عززه بنشر نسبه الشريف "المزور" وأنها هى السيدة والدة الإمام المنتظر ولم تهتز أركان الدولة رغم غضب دول الغرب بحجة شيخوختها والتى تعدت المائة عام ،وأنها إحدى القليلات من المعمرات فى العالم .وبدأت الجهات العليا تحقيقاتها بعدما أصدرت أمرا بإلقاء القبض على كل من وجد واشترك فى إحدى ليالى البهاليل وخاصة بمنطقة زايد وتلك المدعوة الشيخة "نوال"،وأخذت فى استجوابها بعد تشكيل لجنة طبية عليا للكشف على حالتها الصحية واكتشافهم المزلزل أنها خنثى مشكل بعد أن قامت بعرضها على الطب الشرعى واثبت صحة إدعاءات وردة بنت شربات بأنها رجل وأعلنت ذلك فى مؤتمر صحفى لتوضيح أسباب القبض عليها وبعض أتباعها ورئيسات ومالكات مراكز التجميل التابعة لسلطتها والنوادى الصحية التى امتلئت بها عديد من المحافظات ،وأودعت بإحدى دور هيئة الرعاية الطبية وذهبت إليها لجنة التحقيق وكانت أحد أعضاءها وكيلة للنائب العام الذى أصدر الأمر بالقبض عليها وكشف حقيقتها وما خلفها من أسرار .

المحققة : إزيك يا ست نوال ولا أقولك أم قرقر ولا تحب أناديك باسم تانى؟ فأخذت تتفحصها من تحت نظارتها وتشتم رائحة جسدها بأنفها ذو المقدرة الفائقة على التعرف على حالة المرأة من عرق جسمها ،وهو ما تعودته طوال تسعين عاما قضتها وسط النساء كأنثى مثلهن .

- :أهلا يا ست الكل جسمك مرتاح وريحتك حلوة مبسوطة أنت فى جوازك (وهنا أبدت المحققة رباطة جأش ولم تهتز لكلماتها بل تركتها تكملها للنهاية فذكرت فيها كثيرا من الأقوال صادف بعضها حقيقة لديها ولم تبدها لها .

المحققة : يا ترى الخبرة دى اكتسبتيها بالوراثة ولا التدريب ؟

- : التدريب؟! وضحكت بسخرية فجة وردت :أنها بالممارسة

- :طبعا أنت لسة هتنكرى ،لقد علمنا عنك الكثير بل إنهم كانوا يبحثون عنك دائما

- : من هؤلاء وماذا علموا ،إن كانوا علموا شيئا فإنه لاشىء مما لدى

- :وهل ترغبين فى سرد كل الحقيقة أم ستدعين ضعف ذاكرتك وكبر سنك ؟

-: كبر سنى ؟أنا بصحة ابن عشرين ؟

- : ابن ؟! هل ما زلت مقتنعة أنك ذكر ؟ ألم تستمتعى بكونك انثى ؟

- طبعا أنا بنت أغلب حياتى ولكن كنت استمتع أكثر كرجل ،أنت لا تعلمين هذا الإحساس أن تمتلكى جسد امرأة بين يديك وتفعلين فيها ما تشاءين ،آهههههههه كم جميل هذا الإحساس

- ألم تشعرى يوما برغبة الأنثى ؟

- حقيقة لا أدرى ،لم أشعر يوما أنى امرأة كاملة ،ولم استمتع كأنثى فى تلك العلاقات مع بعض الرجال ،حتى أننى اتفقت مع زوجى أن آتيه بامرأة تكون بديلة عنى لما صعبت العلاقة معى واستمر اتفاقنا . بل إننى كنت أنا الذى استدرجها أولا بعمل الحفافةلها وتنظيفها كما عودتنى أمى ؟

- ألم يكتشف أحد حقيقتك طوال خمسين سنة ؟أو لم تفشى سرك إحداهن ؟

- لقد كنت أتخير النسوة و البيوت التى أعلم أنها من العائلات المدعية للحسب والنسب فتجد فيهن المرأة هى التى تقود وتسيّر أمر العائلة ،وغالبا لا يشبعها الرجل وقد يكون لها من الأسرار ما تخاف عليها ،فتبوح بها إلىّ بعدما أعطيهن إحساس الأمان

- هل تحبين أن ألقى عليك أسئلة وتجيبين عليها أم أترك لك حرية الحديث عن نفسك؟

- سأحكى أنا لكم عن نفسى

- وهل تريدين أن يأتى آخرون أم استمع إليك أنا فقط ؟فنظرت حولها فى أعلى الحجرة وضحكت:

- وهل نحن وحدنا! إنهم معنا ؟ فردت عليها أنها ستبقى معها بمفردها وهم سيصورون كل شىء بالكاميرات ؟ ثم طلبت لها وسائد لوضعها حولها وأسفلها ،وأتت لها ببعض العصائر إلا أنها طلبت شيشة! ،فضحكت المحققة واستدعت الساعى وطالبته بسرعة البحث والإتيان بها فذهب لأحد الكافتيريات وجلب لها واحدة مجهزة فاستعدلت جلستها وأخذت ترشف منها ثم طلبت فنجانا من القهوة وأتوا لها به وأخذت تسرد حكايتها

- اسمى نوال سعود الشريف المهدى ؟والشريف المهدى ليس اسما وإنما لقب أبى وجدى وحكت لى جدتى أنهم أطلقوا على جدى ذلك عندما كانت أمها إحدى جوارى عيّاش المهدى فى السودان ،وأنجبته هناك ونسبته إلى العيّاشى ثم قبض عليه وسجن بقلعة البحر بالإسكندرية وأفرج عنه وتزوج سيدة من يهود المكس وأنجب منها ابنه سعود جدى وثلاثة آخرين وخمس بنات ، رحلوا جميعا إلى أرض الحجاز أثناء الحرب العالمية الأولى بقرب أبناء عمومتهم بنى دريعة فى خدمة الإنجليز ثم عاد جدى وبقى أعمامى هناك ،ولما عاد جدى نزل بأرض السويس أولا ،ثم توظف لدى أحد رجالات الإنجليز وانتقل معه إلى الإسكندرية ،وعين باشاويش لعساكر الإنجليز الهندية وقتل مع بعضهم عندما

حاولوا خطف فتاة من عرب البحيرة لتقديمها وليمة لسيده ،فغادرت أمى مقرها هناك واتجهت إلى المنصورة وبدأت من هناك مسيرتها ككدية زار تتعاون مع الإنجليز فى نقل أخبار الوطنيين المصريين ،ثم ولدت أنا وكنت أنا الوحيدة بينهم الشقراء ،وقالت أمى أنتى ابنة أحد العساكر الأوربية الذين كانت تسرى عنهم فى ليالى الحرب الطويلة إلا أنها نسبتنى إلى أحد أشراف المنصورة الذى كان يتردد عليها أيضا من وقت لآخر أو تذهب إليه وتمكث الليالى بحجة تجلية نساء عائلته ،حتى إذا ما قتلت إحدى قريباتها من نسوة الأشراف بعد أن ادخلت علي امرأة منهن رجلا إنجليزيا فجامعها ،وأشاعت أن ابنها من نسل عمدة القرية فطردوا جميعا من القرية وقررت وقتها نسوتنا أخذ الثأر من كل نساء الأشراف أينما وجدوا وحلّوا، ثم نزلنا الصعيد وأقمنا نجع الشريف قرقر

- وكم كان عمرك عندما طردتم من هناك؟

- أظن عشر سنوات أو أكثر

- هل فى هذه السن بدأتى تشعرين بإحساس بنت أم ولد "وهنا صمتت كثيرا ثم قالت"

- فى هذه الفترة كنت أذهب مع أمى لحفافةالحريم وكنت أساعدها ،فإذا أرادت الإختلاء بامرأة لإكمال عملها الداخلى أمرتنى بالذهاب واللعب مع الأطفال المتواجدين بالمكان وذات مرة رآنى زوج إحداهن فأخذنى بحجة إعطائى حلوة المولد وعسلية وبدأ يتحسس جسدى ووقتها فقط بدأت أشعر بنشوة النساء ،ووصل الأمر أن أمى كانت تعرضنى لعساكر الإنجليز مقابل جنيهات فضية أو ذهبية

- وهل مارس أحدهم معك الجنس فى هذه السن ؟

- كلهم حاولوا ولكنهم جميعا فشلوا ،ووقتها أمى علمت بحالتى فزادت فى عرضى للرجال وهى تثق ألا أحدا منهم يستطيع افتضاضى ،ولكنى بعد مدة وجدتنى انجذب للبنات الصغيرات فكنت آخذ الواحدة منهن وأفعل بها ما كان يفعله الرجال بى

- وهل استمر ذلك كثيرا ؟أولم يعلمه أحد ؟

- مكثت على ذلك عدة سنوات حتى فاجئتنى إحداهن بضربى ضربا مبرحا وكانت تتلص علىّ وأنا أفعل بإحدى بنات قريباتها ،ووقتها تشاجرت مع أمى وهددتها بفضح شخصيتى ،ولن تصدقى أن هذه المراة نفسها أتت بعد ذلك وأخذتنى ونامت ووضعتنى بين فخذيها ومنها تعلمت إتيان النساء

- وهل كانت امرأة عادية أم "وسكتت المحققة " وأرادت السؤال عن إنتماء هذه السيدة القبلى ؟؟

- آه كانت منهم أولئك الذين ادعوا الإنتساب وتكبروا بنسبهم على عامة الناس فأصبحت رجالاتهم لا تأبه للعرف أو التقاليد وصار لهم عزوتهم الكاذبة وكثيرا ما خالطوا نساء الآخرين ،فردت عليهم أفعالهم أن صارت نساءهم أشبق منهم ومنحلات داخل البيوت أكثر من خارجها ،ومن إحداهن تلك التى كنت أغشاها فى شبابى حتى أتنى لأول وآخر مرة أقذف فيها كرجل

- هل فعلتها حقا ؟!هل أصبحتى رجل ؟ (ولم تصدق السائلة كلامها)

- نعم مع هذه المرأة بالذات لقد كانت بارعة الجمال زكية الرائحة ناعمة الملمس لينة العظام ،وإنها لهى التى أصّرت أن تفعل بزوجها ذلك فكيف وفيها كل تلك الصفات ويتمناها الجميع يتركها ويجرى خلف أنثى أخرى أقل منها فى كل شىء ،لقد كانت آية من آيات الجمال ترك لها والدها مع أختها الثانية عشرون فدانا بمواشيها وخيلها ،وكثيرا ما سعى تحت قدميها أكابر القوم ومن حولهم من القرى ،إلا أن عرف العائلة أن تعطى لأحدهم ولا تخرج إلى أى رجل خارج العائلة مهما علا شأنه وارتفع حسبه ونسبه بين الناس ، وكان هو ابن عم أبيها، أفقرهم لا يملك سوى فدان ونصف من الأراضى وضيّع باقى ميراثه على ملاهى بنات الليل بالقاهرة والمجلوبات بالإسكندرية لم يحفظ هو أو والده أعراض الناس فردت عليهم فى أعز بيوتاتهم ...أو تعلمين أن هذه السيدة هى أم قرقر ؟

- أم قرقر ؟ابنك ؟ألست أنثى ....."ووجمت من هول الحقيقة "ولكن كيف ؟

- لا ... لست أمه ،الحقيقة أننى بعدما تعودت على إتيانها وقذفت فيها وهى الوحيدة التى حركت فىّ شهوة الرجال ،وأما الآخريات فكنت أقضى لهن شهوة تصيبهن لبعد أزواجهن عنهم أو هجرهن وكن تخشين من زلات النساء نحو الرجال فكانت الواحدة تطلب منى أن أساعدها فى قضاء شهوتها ، وفى ذات يوم وأنا لديها أحننها وارسم لها على قدميها ويديها وقبل أن آتيها صدّتنى وأخبرتنى أنها حامل منى ،فاستوثقت منها كيف ،ولماذا لا يكون زوجها فعلمت أنه لم يمسسها طيلة أسابيع قبل الحمل ،فلما أتى وقت ولادتها ذهبت إليها ببضعة نسوة وأخذت منها الطفل كما كنت أفعل مع كل امرأة تضع طفلا من غير زوجها ،ثم نسبته لى بعدما أوهمت من حولى أننى حامل .

- ولكن لماذا سميته "قرقر" ؟

- لقد ذهبت وعشت فى مقام الشيخ الذى جعلنا له مسجدا وأدعيّنا أنه جدنا الشريف قرقر ،وكنت أذهب إليها فلما وضعت أخذته منها وذهبت به إلى هناك وأدعيت أنه ولد بمفرده ببركة جده وبدون مساعدة من إحداهن ،فصدقت النسوة والكل دعاه بقرقر نسبة لجده الأكبر

- إذن أنتى تعترفين أنك والد من يدعوا نفسه "الإمام القرقرانى"؟

- نعم ؟

- وأمه .....هل علمت بعدها ؟

- لقد علمت وأعلمته هو لما كبر ؟

- وهل عاشت طويلا ؟أولم تلتقيه بعد ذلك ؟

- إنها مازالت على قيد الحياة ،فهل تريدين أن تعرفى من هى ؟

- وهنا اقتربت المحققة منها – وكانت فى شدة الذهول من المفاجأة -ومعتقدة أنها ستصر إليها باسمها ؟ففاجأتها بصوت جهورى ونطقت :

- هى أم ملكى الحديد والذهب الآن ؟

- هل تقصدين ...؟ وسكتت ولم تستطع أن تبوح بالاسم وتفاجأ جميع المستمعين بما وصل إلى مسامعهم فأبناءها من أشهر رجالات الحزب الحاكم وكبار رجال الأعمال وهى التى كانت حائزة على لقب سيدة الذهب الأولى ،وزوجها الأول كان أحد أشهر رجال الجمارك والثانى صار أبرز رجال الحكومة بعدما ترك مجال القضاء ،وأما الثالث فقد كان ملك المحاجر والمسيطر على المقاولات العامة والباطنة، (وهنا تذكرت المحققة تلك السيدة فقد كانت لها قصة مشهورة إذ أن زوجها القاضى ابن قبيلتها والذى سعى جاهدا لتطليقها من الأول بعدما حبس عدة أشهر بسبب تهم تهريب جمركى ،وبعدما هام بجمالها ،وحينما كانت على ذمتها اتهمها أنها أقامت علاقة مع ضابط الأمن المخصص لحمايته) ولكنه لم يثبت ذلك فطلقته ،حتى قبلت بملك المحاجر الذى أهدى لها إحدى الأساور الذهبية الفرعونية التى استخرجها من بعض المناطق الأثرية التى كانت على مقربة أحد المحاجر الآخذ بتوكيل إدارته والذى كان غطاءا لأعمال التنقيب لصالح رجالات من الحكومة وبعض السفراء الأجانب .

- وهنا سألتها عن زمن هذه الأحداث ؟ .....وكما توقع الجميع ردت :

- أيام ثورة الإنفتاح .

- وهل تعلمين المقصود بالإنفتاح ؟وحقيقة ما حدث فيه ؟

- لقد عشته بأم عينيى ،فهذه التى حكيت لكم عنها "أم قرقر الحقيقية " ادعى والدها اكتشاف نسبهم العزيز أوائل السبيعينيات ووقع حظها فى ابن عمها الذى كان يعمل كاتبا بميناء سفاجا ثم صعد فجأة وأصبح مأمورا للجمارك هناك ولكن هل تعلمون لماذا ؟

- لماذا ؟

- لأن والد هذا الرجل استضاف السادات فترة تشرده فى الأربعينيات فرد لهم ذلك بترقية هذا الابن ،وصار نجما من نجوم انفتاح السبعيينيات ،ومن كثرة المفاجآت لم زادت انفعالات المستمعين ،إلا أنها سألتها ؟

- هل كان السادات مختبأ لديكم ؟!

- وهنا قهقهت عاليا وكثيرا كثيرا ثم سكتت وضحكت أكثر بصوته وحركاته

- إيه دا أنتى حافظاه صم !

وتفاجىء الجميع بأنها قد التقت السادات بل وزارته فى قصر الرئاسة وكانت إحدى المدعوات فى ليلة استقبال وإمتاع الرئيس الأمريكى خاصة بعد إعجابه الشديد براقصة ممن أتى الرئيس بهن إليه فى ليلة من ليالى رمضان وقتئذ ،وكانت قد تعرفت به منذ ثلاثين عاما عندما كان هاربا من السلطات المصرية بتهمة قتل بضعة مصريين أصابتهم قنابل ورصاصات المجموعة التى أحاطت بسكن أمين عثمان لقتله ،وقد اندس بين الناس فى نجوع الحلبنجية وامتدت إقامته بها أطول مما مكث فى مكان آخر

وهنا وقع فى أيدي الباحثين قصة أنور السادات مع الراقصة الأشهر فى زمن الملكية وكانت مروية فى إحدى الصحف بعدما قتل السادات بأيام مروية عن سيرة راقصة ترغب فى نشرها كمذكرات وتقول أحداثها :

"كانت راقصة مغمورة حتى عملت فى فرقة بديعة مصابنى ولقبت بسلطانة الغرام وكان معروفا عنها علاقتها القوية بضباط القوات البريطانية من خلال ترددهم على الملهى الذى كانت ترقص فيه ،ولكن لظروف الحرب سافرت لأوربا وهناك تعرفت على الجاسوس الألمانى ،والتى بدأت داخل أحد النوادى الليلية بالنمسا التى كانت ترقص فيها ،وقدم نفسه لها على أنه حسين جعفر الطالب المصرى واستطاع أن ينسج خيوط شباكه حولها بحكمة حتى وقعت فى غرامه ،ليختفى فجأة من حياتها ودون مقدمات ،ثم اندعلت الحرب العالمية الثانية، وقررت العودة لمصر لتعمل فى ملهى الكونتنتال ،وقبل أن تسافر شاهدها

رئيس المخابرات الألمانية وهى ترقص فدعاها للرقص أمام هتلر ووزير دعايته الذى أمر بتجنيدها على الفور لصالح الألمان ،وكان حسين جعفر من أب وأم ألمانين انفصلا كلاهما عن الآخر وكانت الأم تعمل ببورسعيد والتقت محامى مصرى تزوجته وتبنى طفلها وأطلق عليه اسمه ،ثم لما كبر وأتقن العربية وجدته المخابرات الألمانية أفضل من تجنده للعمل ضد القوات البريطانية فى مصر بعدما سافر إلى ألمانيا واتخذ اسم أبلر ثم أرسلته مع آخر عبر الصحراء الغربية فى الملابس العسكرية للجنود الإنجليز وعلى مشارف أسيوط استبدلا ملابسهما ثم أكملا رحلتهما بعد عدة مغامرات ووصلا إلى القاهرة لتنفيذ مهمتهما ،بينما كانت قوات روميل من خلفهم تقف على أعتاب العلمين وعندما وصلا إلى القاهرة نزلا فى فندق شبرد ،وفى ملهى الكيت كات كان يلتقى أبلر مع تلك الراقصة ليكشف لها عن شخصيته وأبدت استعدادها للتعاون مع المخابرات الألمانية ،واستأجرت لهما عوامة قريبة من عوامتها ،ثم قبض على أحد الجواسيس الألمان ،فتوقفت المخابرات عن الإرسال عبر جهاز اللاسلكى الذى يملكه حتى ظن أنه أصابه عطل فطلب منها المساعدة عبر شخص تثق به ،وكانت هى على علاقة خاصة بحسن عزت وصديقه آنئذ الضابط المصرى أنور السادات وعلى الفور وافق السادات للعمل مع المخابرات الألمانية وإصلاح الجهاز لهما بعد أن اتفقا على التفاصيل الأخرى ،ووجد أن المقابل مجزى مع تأثير الراقصة عليه ثم اكتشف أنه لا يملك معدات إصلاحه فاستعان أبلر بجهاز أمريكى من السفارة السويسرية التى كانت ترعى مصالح ألمانيا بالقاهرة ،وفوجىء أنور أن الجهاز بدون مفاتيح تشغيل ،فاقترح تشغيله بمفاتيح مصرية الصنع يقوم هو بتركيبها ،ثم استمروا فى التعاون والإلتقاء بعوامة الراقصة ،إلا أن المخابرات الإنجليزية شعرت بالأمر فبدأت فى البحث عن أجهزة الإرسال وأعضاء الشبكة ولم تجد أفضل من الوكالة اليهودية بمصر ،والتى سارعت إلى الإيقاع بهم عبر الراقصة الفرنسية التى كانت تعمل لحسابها ،فأوقعت بأبلر خلال أيام عند قضاء ليلة كاملة معها فى العوامة بعد سهرة جماعية مع الراقصة ورفيقيها المصريين حسن وأنور ،فلمّا لاحظت تحدثه مع زميله بالألمانية كتبت تقريرا تفصيليا عن تلك الليلة ثم هبطت عليهم فى

ليلة أخرى عساكر المخابرات البريطانية وألقت القبض على أبلر وصديقه مونكاستر وحكمت فهمى وأنور السادات الذى طرد بعدها من الجيش وخلعت كل رتبه العسكرية من على كتفه ،وبدأ مرحلة التشرد عبر الأراضى المصرية بعدما اعترف للإنجليز عن المعلومات التى يملكها عن تمركز الألمان على حدود مصر الغربية ،مما كافئته به المخابرات بأن تركته يهرب وأدعت أنها تبحث عنه ،وأغلب الظن أنه مال للتعامل معها بجمع المعلومات المختلفة لها عن الأحوال فى أرض مصر من خلال إدعاء حالة التشرد هذه ثم برأ بعد إنتهاء الحرب والتمس العفو فعفى عنه ،وأعيد للجيش بعد توصية طبيب الملك وأحد الطليان الذى كان يعمل جاسوسا مزدوجا بين الألمان والإنجليز وله معرفة به ،حتى التقى بمجموعة جمال عبدالناصر فانتشله مما كان فيه واستخدمه لصالح الحركة الوطنية المصرية وتنظيم الضباط الأحرار " . وضموا هذه الجريدة كمرجع ثانوى لبحثهم. ثم انضمت الطبيبتان لها بعد ترحيب المحققة بهما واستدعاءهما

- دعينا نسألك عن سر حكاية وردة بنت شربات ؟ وهنا تنهدت كثيرا وتأوهت أكثر آخذة فى الشهيق والزفير ثم أعادت ظهرها للخلف واستشربت من مبسم الشيشة دخانا كثيفا وسكتت كثيرا ثم بدأت قولها :

- وردة بنت شربات دى حكايتها حكاية ....دعونى ابدأها من جدتها ميمونة الحلبنجية ، وهنا قرروا جميعا ترك ما فى أيديهم والإنصات لقصة غير مكتملة لديهم

- أولا سابدأ لكم بحكاية جدتها ميمونة الشربتلية :لقد حكت لى أمى أنهم كانوا يسكنون على طرف كفر أبودجانة من أرض الغربية وكانت تنزل مع أمها فى الموالد خاصة مولد الشيخ الغرباوى والسيد البدوى ،وكانت أمها ممن ترقصن فى هذه الموالد أما هى وأخريات فكن ينقعن مشروبا من مواد مختلفة كشربات يوزع على المترددين فى الموالد وأما الحقيقة كانت وسيلة لإلهاءهم ريثما تقوم أخريات بسرقة هؤلاء ولم تعدم من بينهم نسوة تقيم خيمة بطرف المولد لمن يرغب فى ممارسة الجنس مقابل عمولة يلقيها الشخص فى يد أحد رجالهم ،ولما نهدت ميمونة عن طوق الطفولة برزت أثداءها ونضج جمالها فجذبت

إليها أنظار الشباب والرجال فأصبحت وسيلة لجلب الراغبين فى المتعة لخيم اللذة الجنسية وشاركت هى فى بعضها بعد أن عرضتها أمها لأحد شيوخ القرى بعد أن أعجب بها فى ليلة زفاف ابنه ،والتى قامت بالرقص فيها ،وقبلها تولت تجلية زوجة الابن وتحنيتها وفعلت لها ما يلزم بالنسوة قبل ليلة الدخلة ..وكان هذا الرجل أحد المكلفين من قبل السلطة الإنجليزية بإدارة شئون القرية وما حولها ،وفى ذات يوم أرسل إليها يطلبها وابنتها لجمع من ضباط اللجنة الإنجليزية فذهبت بعد تردد وإجبار بالتهديد بأخذهما بالقوة ومن بعد هذه الليلة أصبحت لها سمعة من بين بنات الموالد وكانت تطلب بالاسم "ميمونة الشربتلية" وبعد عدة أشهر سقطت الصبية فى أحد الموالد واتضح أنها حامل ولم يعلم وقتها ممن إلا أن الفتاة التى انجبتها اتضح بعد عام أنها شقراء بشعر أصفر على عينين خضراوين فعلم الجميع فى أنفسهم بأنها لابد من جماعة الإنجليز ،وخلال هذا العام ثارت ضدهم أهل القرى والكفور وقامت بطردهم بعدما حاولت إحداهما استمالة بنت من بنات العائلات لتسرح معها إلى معسكرات الإنجليز ،وقبلها كانت حادثة إدعاء إحداهن أن وليدها ابن عمدة الكفر ،وألقته إليهم وكثير من قبلها حوادث لفتيان تركوا زوجاتهم وألفوا هاتيك النسوة فكانت نهايتهم فى تلك المنطقة فتشعبوا بين البلاد ،ومنهم جزء غادر إلى الصعيد عبر الصحراء وظلوا يتنقلون بمحاذاة الشاطىء الغربى للنيل حتى طاب لهم المقام بجانب معابد العمارنة بالمنيا ثم انتقلوا منها إلى معابد أسيوط وهكذا أصبحوا يثبتون أقدامهم فى قرب المعابد الفرعونية لما كانت محملة عندما ظن الجميع أنها مسكن للجن والسحرة ولا يقربها أحد ،وخلال خمسون عاما فقط أسسوا لهم تجمعات على طول معابد النيل حتى تركزو بقرب معبدى دندرة والكرنك بمديرية قنا ،وبعضهم لم تعجبه الحياة على أطراف الصحراء فراحوا يقيمون خيامهم على حواف الترع المحيطة بالأرض الزراعية ،وجعلوا أنفسهم خدما لأصحابها ،يرعون بهائمهم بالكلافة وتنظيف زرائبها،وعمل بعضا منهم بحرفة قص شعر البهائم وأظافرها ، وأما نسائهم فأخذوا يتسربون بين سيدات القرى كخادمات لهن فى الأعمال المنزلية ثم تطورت مهنتهم ليصبحن جلابات للنسوة وتجميلهن بمختلف أنواع الحنّاء

والتى سيطروا على تجارتها مع أقاربهم ممن سبقوهم إلى جنوب البلاد حتى السودان وهناك تسموا بعدة ألقاب وكانت عائلة شربات بنت ميمونة من تلك الشعبة التى سكنت بين قرى الناس .

وكبرت شربات معلومة الأم مجهولة الأب إلا من صفاته فكانت أكثرهن بياضا بشعر أصفر أسفلها حاجبين سوداويين من تحتهما رموش ناعمة طويلة تحفان مقلتين خضراوين ،ومن قبلها أتت أمها بثلاث بنات متنوعات ما شابهت واحدة فيهن الأخرى إلا فى جسد أمهم وراثة عن جدتهم ،والتى كانت ذات عود طويل مشدود أعلاه ممتلىء أسفله متقوس على الفخذين ،والرقبة ممتلئة لحما طويلة كأنها بلا عظم ،وأخذن ألقابا بدرجة ألوانهن فهناك بنت ميمونة السمرة ،والشقرة ،والحمرة ،ومنهن تفرعت ألقاب مشابهة لأهل الحسب والنسب تضليلا لمن يبحث عن أصولهم فسميت عائلات بأبوسمرة وأبوشقرة وأبوحمرة، وأما شربات فارتحلت مع أمها إلى أرض الصعيد وانجبت بناتها الثلاث والتى كانت إحداهن وردة ،والتى أرادت وتمنت وخططت أن تكون ولدا إلا أن رجلها الذى كان يساكنها أفسد عليها كل ذلك . وبعدما علم الجميع أصل القصة اتجهت إليها أسئلة السائلين عن وردة

- كيف تربت وردة ؟ وهل فعلا أنك أتيتها منذ كانت بالعاشرة "وهنا تركت الشيشة وطلبت منهم فنجان قهوة وعلبة سجائر أجنبية سمتها لهم "وتعجب المجتمعين حولها من تدخينها للنوعين فأخبرتهم بعدما ضحكت بملء شدقيها :

- السادات الله يجازيه هو اللى عودنى على السجاير دى ،فبعد أن ذهبت وجهزت ما يلزم من حفل استقبال الضيف الأمريكى احتجت لتدخين الشيشة إلا أنهم منعوا دخولها ، وأهدانى وقتها خرطوشة من تلك الأنواع التى كانت تهرب بعد الإنفتاح بواسطة رجال الحكومة لتغيير مزاج المصريين ،وصارت ترسل إلي شهريا عبر مسئول الموانىء من القرية التى سكنّا على حافتها، وكافأ السادات أهلها لإخفاءه لديهم شهورا بتعيين ابنهم الحرامى مسئولا للتخليصات الجمركية ،وأتوا لها بنوع مقارب لما طلبت بعدما

أخبروها أن الصنف الذى أرادته توقف إنتاجه واستبدل بتلك الجديدة، فأشعلوا لها واحدة وأخذت تمصها مصا وتبلع دخانها بلعا "ثم سألها باحث التاريخ الإجتماعى عن علاقتها بليالى المسئولين فى الملكية وبعد الثورة فأخبرته أن أمها وميمونة ام شربات كانتا تأخذانها معهما لنازلى هانم أم الأمير ،وكانت قد تعرفت عليهم فى إحدى جولات زوجها الملك لممارسة الصيد بالصحراء الغربية واحتاجت أن يصلح لها أحدهم شأنها بعد حادثة إصابة الملك فى جولة صيد ،وترددت على القصر ما يقارب ستة مرات انقطعت بإنتهاء الحرب وإعلان الملكية فى مصر ،فصار للملكة حاشية ووصيفات أغلبهن طليان وإنجليزيات ،استغنت بهن القصور عن بنات الغجر ،وأخذت هى مهن أمها وأتقنتها حتى طلبتها السيدة ناهد وصيفة الملكة زوجة الملك الشاب بعدما أصيب الابن الملك تقريبا بنفس الإصابة وبالقرب من ذات موقع إصابة أبيه ،فلما علمت بها الملكة الأم وأنها التى كانت تأتى مع ميمونة وأمها، أخذتها ضمن خادماتها فلبى الملك أمرها من فوره ،وهناك تعرفت مرة أخرى على أنور السادات كضابط ضمن حاشية الملك الشاب ،وكان بينهما تواصل انقطع ببدء حرب فلسطين حتى مرت خمس سنوات على قيام الثورة ففوجئت بمن يستدعيها ،وأخذت لأحد استراحات المشير وكان وقتها تتردد عليه عدة نساء من راقصات وفنانات ،اتخذ إحداهن زوجة والأخرى خليلة ،كن تحتجن من تهيئهن لسهرات خاصة وبين الحين والفين كانت تلتقى السادات فى كثير من تلك الليالى، إلى أن حدثت النكسة فانقطعت جولاتها مع قصور المسئولين ،حتى فوجئت يوما بعد عدة أعوام من النصر بدعوة من السيدة الأولى ،جلبها لها الحرامى مسئول الجمارك للمساعدة فى إعداد سهرات تحية للرئيس الأمريكى ضيف الرئاسة والدولة ،فاستعادت بريقها الذى لم يعكره إلا ورود اسم ابنها قرقر ضمن خلية الفنية العسكرية والذى هرب لخارج البلاد فسجنت بسببه عدة أشهر ،وأفرج عنها فجأة بعدما راجع الرئيس متورطى تلك الحادثة وأنكر على رجال المباحث القبض عليها، وأنه يعلم جيدا من هو قرقر وأم قرقر ،فقد كان ذلك الشاب يقارعه الخمر والحشيش فترة تشرده لديهم وكثيرا ما كان قوادا لنساء أهله للتسرية عن كثير

من شباب القرى سواء بالرقص لهن أو إشباع فورتهم الذكورية ،وتأخذ أنفاسا عميقة من سجارة جديدة أشعلت لها وتكمل :

- وبعدما عدت وجدت شربات بنت ميمونة قد أنجبت ابنتها وردة ورأيت ما حل بها ،فأخبرت من حولها أن ذلك أكيد بسبب الفيرس الذى استوطن فيها من أبيها وكانت غالبية العساكر الإنجليزية تعانى منه أثناء الحرب . وأنها هى التى كانت تعرف تطبيبها من هذا المرض خبرة عن أمها التى عايشت فترة الإنجليز وتعلمت من ممرضاتهم علاج تلك الأمراض لديهم ،حتى شفيت تماما إلا أنه ظل بها الأثر الذى جعلها تشتهى الرجال كل حين بسبب مرض فطرى ظل بأجزاءها الأنثوية الداخلية ،وكانت هى تشتهى أيضا النساء بعدما بدلت شهور السجن أحاسيسها تجاه الآخرين ،فأصبحتا لبعضهما العلاج والدواء ،إلا أنها أخذت ترقب وردة وهى تكبر شيئا فشيئا تلاعبها وتتحسس جسدها الذى أشرق وأورق قبل أوانه بكثير .وعلمت هى أن تلك الفتاة لابد أن ترث عن أمها مرضها كما ورثت جسدها وشكلها ،وقد كان فصارت البنت تحتاج لمن يداعبها فى أجزاءها الأنثوية منذ تخطت الثامنة من عمرها وكانت ترتاح فى ذلك لأم قرقر كاتمة أسرار أمها وطبيبتها ،(وهنا أرادو تفهم حالة وردة بالضبط وكيف صارت تطاوع كل من يريدها بالحيلة أو التهديد):ثم سردت لهم حكاية وردة مع أمها شربات بنت ميمونة

- بعدما عدت للبلدة مفرجا عنى من معتقل السادات صرت أشهر امرأة بين نسوة القرى بإدعاء شباب التكفير والهجرة الذين ازداد عددهم بالمئات من مختلف القرى أنى أم أميرهم "القرقرانى " ،وكانوا يأتون بنساءهم إلّى للمكوث عندى ورعايتهن إن أرادوا هم الإرتحال للتدريب والإعداد للدعوة والجهاد ،وهنا انتفضت الطبيبات سائلاتها

- وهل كانت نساء الجماعة هدفا لإشباع شهوتك؟ ،فتعجبوا أكثر عندما أخبرتهم بعد ضحكة طويلة من ضحكات الغانيات

- لقد صرت أنا هدفا لهن لإشباع رغباتهن مع طول غياب أزواجهن عنهن من أجل دعوتهم الزائفة ،وقد كن تعودن على ذلك بواسطة ابنى قرقر أمير أزواجهن والذين

كانوا يودعون زوجاتهم لديه ما إن يرسلهم فى رحلة دعوية أو غزوة جهادية ضد رجالات الجيش والشرطة ،وبعدما علمن بحالتى من بعضهن البعض وأنى استطيع كفايتهن إشباعا كامرأة ورجل فى ذات الوقت ،وفى تلك الأثناء كانت وردة تتورد يوما بعد يوم وتزداد جمالا فوق جمالها ،بينما أمها يفقد جسدها رونقه وشبابه وتزحف عليها تجاعيد الشيخوخة باكرا ،وكأنه يتحول إلى ابنتها ولا يمر يوما إلا وهى تحقد عليها وتتمنى موتها كلما رأت كل العيون تشتهيها نسوة ورجالا صبية وكهولا ، فكانت تعذبها بربطها فى جذع نخلة بالبيت وتضربها على أثدائها وتحرقها بأعواد الحطب المشتعل بين فخذيها فيهرولون إلى لإنقاذها ،فأنقذها من بين يديها حتى أخذتها للإقامة معى دائما بعدما تركتها أخوتيها بمفردها مع أمها بزواجهما بعيدا عن القرية التى نسكن على أطرافها ،وكانت وردة تنضج وتتفتح كل يوم كامرأة كاملة وتزداد أجزاءها بروزا واستدارة، وكنت أبيتها بين أحضانى فأتحسس بيدى كل أجزائها حتى نسيت أن اذهب إلى شربات أطبب لها مرضها، فأتتنى لتأخذها منى ،وهنا اتفقت معها أن تكون وردة هى الطعم الذى يجذب الرجال، فإذا ما أتوا لبيتها رغبة فى ابنتها أعددت لهم مشروبا علمتنى إياه أمى أعده للرجل فيغيب عن الوعى وتشتد شهوته فلا يعلم ولا يدرى من يداعب ويجامع ،وظللنا على ذلك خمس سنوات فإذا ما أتى عامها الرابع عشر ما برح الزوار على باب أمها يرغبون فى زواجها وكل يتمنى نفسه أن تكون له وحده ،ولكن الأم كانت ترفض خشية أن يلقيها الجميع وتنسى كامرأة لها احتياجاتها ،فرغبت فى رجل من عائلات القرى ذو حسب ونسب ولكنه طيع قابل للسيطرة ،فظللت أبحث لها عن ذاك الرجل فوجدته فى أحمد الزين الذى كان شابا فى السابعة عشر من عمره يتيم الأب ،وأمه وحيدة منبوذة من أهل زوجها الذى كان ابن خالتها تزوجها بعد وفاة أبيه بإيعاز من والدته بعدما رفضوا أن يعطوها كامل ميراثها فى زوجها ،واكتفوا بنصيب ابنها بضعة قراريط لا تساوى ربع نصيب والده ،فأتى الابن وحيدا منطويا على نفسه رغم كثرة أقرانه فى العائلة ،ولكن الجميع تركوه منفردا تأديبا لأمه وأم أبيه ،وما إن رضيت به أم وردة حتى نسجنا حوله وحول أمه خيوط الإغراء تارة والسحر

والجلب بطريقة أخرى ،فتزوجها واستطاعت شربات بنت ميمونة أن تشارك ابنتها فى زوجها ،إلى أن شعرت نسوة عائلة الابن أن شيئا ما غير معتاد فى أمرهم خاصة أنه صار هو وأمه طوع يدىّ تلكم السيدة ،وثارت رجال العائلة ما إن شعروا بخطأهم وبعد أن وقعت الواقعة وصارت بنت الحلبنجية زوجة لأحد رجالهم ، بل وانجبت له ابنين وبنت فارتضوا مجبرين بعدما وجدت نسوتهم أن البنت يمكن أن تكون طيعة فى أيديهم إن أبعدوها عن أمها وشريكتها أم قرقر، وأفلحوا شهورا واستفاق الابن وزوجته لأنفسهم وبدأت حياتهم تأخذ مسيرة مختلفة إلا أن أم وردة لم تصبر على ذلك وتدبرت مع رفيقتها الحيل حتى أخذوا الفتاة وأولادها وظنت أنها ستتمكن من والدهم ويعود لها كما كان إلا أنه فاجأها بطلاق ابنتها ،وأخذوا منها أولاده بالقوة بعدما ظلوا لديها قرابة العامين أذلتهم فيها بأقسى أنواع الذل والمهانة ،وزوّجوه أثناءها من إحدى بناتهم التى كانت نعم وخير النسوة فاحتضنت أولاده كأحسن ما تكون الأم بعدما فوجئوا يوما بوردة بنت شربات تدخل عليهم ومعها ابنيها وابنتها وتركتهم لديهم وغادرت ،وهى المرة الوحيدة خلال خمس سنوات التى تركتها فيها شربات بالبيت ذاهبة مع أم قرقر للمملكة بحجة زيارة عمرة مرسلة من هناك كما كانت تفعل طوال الثمانينات ،والتى طلبتها بالاسم لسابقة علاقتها مع أقاربها من بنى دريعة لإشباع رغبة جنود الأمريكان أثناء مكوثهم هناك فترة حرب الخليج الثانية وجمعوا لهم كل العاهرات الداعرات من داخل المملكة وخارجها إكراما لدفاعهم عنها .ولمّا عادت وجدت الأبناء يودون أمهم بأطيب الثياب والطعام يمكثون ليلة أو اثنتين ثم يعودون لأبيهم ،فلما رجعت انقطعوا عنها فمرضت وردة لفراقهم ،فيرسلوا من قبل أبيهم بالدواء والطعام والمفارش الوثيرة ،وكلما عادوا وجدوا شربات سلبتها منها فتقوم بينهم حرب شعواء وأخر مرة أخذت منها مفارشها الوثيرة والثياب الحريرية التى أتوا لأمهم بها والتى كانت فى شدة المرض ولكنهم فوجئوا بها تنهض وتذهب إليها وتخنقها خنقا مميتا بيديها الضعيفتين واللتين اكتسبتا قوة جبارة ما استطاعوا فكاكها، فماتت وأرادوا أخذها معهم ولكنها رفضت وأمرتهم بالمغادرة ثم أتت بالحطب والجاز وألقته على جسد شربات

وأشعلت فيها النيران ، وطربت وفرحت رقصا حولها ،وكأنها تنتقم لنفسها ثم أتت الشرطة بعد استدعاءها وأخذوها سجينة ،ثم أخبرتهم أنها بعدما عادت من أرض المملكة بمئات الآلاف من الريالات الذهبية وفيلا بالعاصمة تركت القرية واتجهت للإقامة بها وصارت السيدة نوال صاحبة الكرامات والولاية ،وازدانت كل أركان البيت بالذهب والفضة فقد كان بنوا دريعة يرسلون إليها راتبا شهريا كرامة لما بذلته لجند الأمريكان ، وكذلك ابنها القرقرانى الذى صار إماما لأهل الأفغان والباكستان ،وكذلك نساء كثيرة زوجات لأصحاب مال وسلطة كانت لهم مرشدة وكاتمة سرهن فى علاقاتهن العامة والسرية الخاصة ، والكل تدثر تحت عباءة سيدة المجتمع وصاحبة الكرامة ومالكة أشهر سلسلة بيوتى سنتر للتجميل والموضة تشارك بها رائدات أعمال يغلب عليها الخدمات النسائية الخاصة ، وتشعبت دروبها حتى تجمعت أطياف من فنانات وصحفيات ونائبات ومذيعات وسيدات أعمال يتجمعن كلهن فى ليالى نسائية صاخبة تحت مسمى ليالى ذكر فى الحضرة المقدسة لصاحبة الكرامة الشيخة " نوال الوهابى" حتى قبض عليها بالقضية الأشهر بتهمة اتخاذ مسكنها وسلسة مراكز التجميل التى تمتلكها للأعمال المنافية للآداب والتجارة بالرقيق الأبيض .

وهنا اتجه المجتمع والعالم كله صوب قضية أم قرقر "الخنثى المشكل" كما أطلق عليها ،وأخذت كثير من الدوائر الطبية تعرض لهذه الحالة لأنها نادرة من نوادر الزمن التى يتواجد فيها العضوان الذكورى والأنثوى كاملين فى جسد واحد ،ولكن طفت على السطح معضلة دينية كان لابد من تفنيد أجزاءها فاتجهوا لدار الإفتاء للإستماع إلى وجهة نظر المذاهب الإسلامية فى ذلك ، بل إن المجمع الإسلامى بالقاهرة شكل لجنة خاصة لتبيان حقيقة هذه الحالة ومما جاء فى أحد بياناتهما بناء على رأى ائمة المذاهب :

التعريف بالخنثى المُشكل : وهو الذي تختلط فيه علامات الذكورة والأنوثة فلا يعلم إن كان رجلاً أو امرأة ، وحيث أُطلق لفظ (الخنثى) في كتب الفقه القديمة فإنه يراد به الخنثى المشكل ، وهو نوعان : نوع له آلتان (فرج وذكر) ونوع ليس له آلة بل ثقب يبول

منه ، وغالباً ما يتعذر الحكم على الخنثى المشكل قبل البلوغ : هل يعتبر ذكراً أم أنثى ؟ فذهبوا في القديم إلى أنه قبل البلوغ يحكم عليه من حيث يبول ، فإن كانت له آلتان فبال من الذكر فهو غلام ، وإن بال من الفرج فهو أنثى أما بعد البلوغ فيتبين أمره بعلامات البلوغ نفسها ، فإن نبتت له لحيةٌ أو أمنى اعتبر ذكراً ، أما إن ظهر له ثدي ونزل منه لبن أو حاض فهو أنثى ، فإن حصل الحمل والولادة فهما دليلان قطعيان على الأنوثة .

وأما رأي الطبّ : يفرّق أهلُ الطب بين نوعين من الخنوثة ، ليس على أساس الشكل الظاهر فحسب كما يفعل الفقهاء ، بل أيضاً على أساس التكوين العضوي الداخلي للغدد الجنسية ، ولهذا قالوا بوجود نوعين من الخنوثة :

(١) الخنثى الحقيقية : وهي التي تجمع في أجهزتها الخصيةَ والمبيضَ في الوقت نفسه ، وهذه الحالة نادرة جداً .

(٢) الخنثى الكاذبة : التي تكون فيها الغدد التناسلية من الجنس نفسه (إما مبايض وإما خصي) وتكون الأعضاء التناسلية الظاهرة مخالفة لجنس الغدد التناسلية التي في الداخل ، وهذه الحالة ليست نادرة فهي توجد بنسبة مولود واحد من كل ٢٥ ألف ولادة. ثم فندت لجنة مشتركة بينهما الأمر فقالت

كيف يعامل شرعا من خلق خنثى بأعضاء و أجهزة الجنسين؟

أولاً : الخنثى هو الذي له ماللرجال والنساء جميعاً - هذا في اللغة - ولدى الفقهاء : من له آلتا الرجال والنساء " أو: من ليس له شيء منهما أصلاً ، وله ثقب يخرج منه البول .

وغير المشكل من يتبين فيه علامات الذكورة والأنوثة ، فيعلم أنه رجل أو امرأة ، فهو رجل فيه خلقة زائدة ، أو امرأة فيها خلقة زائدة ، وحكمه في سائر أحكامه حكم ماظهرت علاماته فيه .

ومن لايتبين فيه علامات -كالأول - هو " المشكل " أو من تعارضت فيه العلامات .

وذهب جمهور الفقهاء إلى أن الخنثى قبل البلوغ إن بال من الذكر فغلام ، وإن بال من الفرج فأنثى ، لأن منفعة الآلة عند الإنفصال من الأم خروج البول ، وماسوى ذلك يحدث بعدها ، وإن بال منهما جميعاً فالحكم للأسبق .

ثمة ضابط في أحكام الخنثى المشكل أنه يؤخذ فيه بالأحوط والأوثق في أمور الدين ، وثمة بعض التفاصيل :

عورته : يرى الحنفية والشافعية أن عورة الخنثى كعورة المرأة ، حتى شعرها النازل عن الرأس ، خلا الوجه والكفين ، ولايكشف الخنثى للإستنجاء ولا للغسل عند أحد أصلاً ، لأنها إن كشفت عند رجل احتمل أنها أنثى ، وإن كشف عند أنثى ، احتمل أنه ذكر . وأما ظهر الكف فقد صرح الحنفية أنها عورة على المذهب ، والقدمين على المعتمد ، وصوتها على الراجح ، وذراعيها على المرجوح .

وصرّح المالكية بأنه يستتر ستر النساء في الصلاة والحج بالأحوط ،فيلبس ماتلبس المرأة

وأما الحنابلة فالخنثى عندهم كالرجال في ذلك ، لأن ستر مازاد على عورة الرجل محتمل ، فلا يتوجب عليه أمر محتمل ومتردد .

نقض وضوئه بلمس فرجه: ذهب الحنابلة إلى عدم نقض الوضوء بلمس الفرج مطلقاً .

ويرى المالكية في المذهب أن الوضوء ينقض بلمس الخنثى فرجه ،وعند الشافعية ينتقض الوضوء بمس فرجيه جميعاً .

أذانه : لاخلاف بين الفقهاء في أنه لايصح أذان الخنثى ، وأنه لايعتد به ، لأنه لايعلم كونه رجلاً . ولأنه إن كان أنثى خرج الأذان عن كونه قربة ، ولم يصح .

وقوفه في الصف في صلاة الجماعة : لاخلاف بين الفقهاء في أنه إذا اجتمع رجال ، وصبيان وخناثى ، ونساء في صلاة الجماعة ، تقدم الرجال ، ثم الصبيان ، ثم الخناثى ،ثم النساء. والمشهور عند الحنفية أن محاذاته للرجل مفسدة للصلاة .

إمامته :لاخلاف بين الفقهاء في أن الخنثى لاتصح إمامته لرجل ، ولالمثله ، لاحتمال أنوثته ، وذكورة المقتدي ، وأما النساء فتصح إمامة الخنثى لهن مع الكراهة ، أو بدونها عند الحنفية والشافعية ، والحنابلة ، لأن غايته أن يكون امرأة ، وإمامتها بالنساء صحيحة .

وأما المالكية فلا يتأتى ذلك عندهم ، لأن الذكورة شرط عندهم في صحة الإمامة ، فلا تجوز إمامة الخنثى ، ولو لمثله في نفل ، ولم يوجد رجل يؤتم به .

حجه وإحرامه : ذهب جمهور الفقهاء إلى أن الخنثى كالأنثى في شروط وجوب الحج ، وفي لبس المخيط ، والقرب من البيت ، والرمل في الطواف ، والإضطباع ، والرمل بين الميلين في السعي ، والوقوف ، والتقديم من مزدلفة ، ولا يحج إلا مع ذي محرم ، لا مع جماعة رجال فقط ، ولا مع نساء فقط ، إلا أن يكونوا من محارمه .

النظر والخلوة : صرح جمهور الفقهاء بأن الخنثى لا يخلو به غير محرم من رجل ، ولا امرأة ، ولايسافر بغير محرم من الرجال احتياطاً ، وتوقياً عن احتمال الحرام ،وكذلك لايتكشف الخنثى المراهق للنساء ، لاحتمال كونه رجلاً ، ولا للرجال لاحتمال كونه امرأة ، والمراد بالانكشاف هو أن يكون في إزار واحد ، لا إبداء موضع العورة لن ذلك لايحل لغير الأنثى أيضاً .

نكاحه : ذهب الحنفية إلى أن الخنثى إن زوجه أبوه رجلاً ، فوصل إليه جاز ، وكذلك إن زوجه امرأة فوصل إليها ، وإلا أجل كالعنّين .

ويرى المالكية ، وهو المذهب لدى الشافعية أنه يمتنع النكاح في حقه من الجهتين ، أي: لاينكح ولا ينكح .

واختلف الحنابلة في نكاحه : فذكر الخرقي : أنه يرجع إلى قوله ، فإن ذكر أنه رجل ، وأنه يميل طبعه إلى نكاح النساء ، فله نكاحهن ، وإن ذكر أنه امرأة يميل طبعها إلى الرجال زوج رجلاً ، لأنه معنى لا يتوصل إليه إلا من جهته .

رضاعه :يرى الحنفية وجمهور الحنابلة أنه إن ثاب "اجتمع" لخنثى لبن ، لم يثبت به التحريم ، لأنه لم يثبت كونه امرأة ، فلا يثبت به التحريم مع الشك .

وذهب الشافعية وابن حامد من الحنابلة إلى أنه يوقف الأمر حتى ينكشف أمر الخنثى ، فإن بان أنثى حرم ، وإلا فلا ، ولكن يحرم عليه نكاح من ارتضع بلبنه .

ختانه :اختلف الفقهاء في جواز ختان الخنثى على أقوال : فذهب الحنفية إلى أن الخنثى الصغير الذي لا يشتهي يجوز أن يختنه الرجل أو المرأة .

لبسه الفضة والحرير : ذهب جمهور الفقهاء إلى أنه يحرم على الخنثى في الجملة لبس الحرير والذهب والفضة ، وذهب الحنفية إلى أن الخنثى يكره له لبس الحرير والحلي ، لأنه حرام على الرجال دون النساء ، وحاله لم يتبين بعد ، فيؤخذ بالإحتياط ، فإن اجتناب الحرام فرض ، والإقدام على المباح مباح ، فيكره حذراً عن الوقوع في الحرام .

غسله وتكفينه ودفنه : إذا مات الخنثى فاختلف الفقهاء في غسله على أقوال :

فذهب الحنفية إلى أن الخنثى إن مات لم يغسله رجل ولا امرأة ، لأن غسل الرجل والمرأة وعكسه غير ثابت في الشرع ، فإن النظر إلى العورة حرام ، والحرمة لم تزل بالموت فييمم بالصعيد ، لتعذر الغسل ، ويممه بخرقة إن كان أجنبياً ، ويصرف وجهه عن ذراعيه لجواز كونه امرأة ، وبغير خرقة إن يممه ذو رحم محرم منه .

وفصل الشافعية القول فيه : فقالوا : إذا مات الخنثى ، وليس هناك محرم له من الرجال أو النساء ، فإن كان صغيراً لم يبلغ حدا يشتهي مثله جاز للرجال والنساء غسله ، وإن كان كبيراً فوجهان : أحدهما : ييمم ويدفن ، والثاني : يغسل .

ويكفن الخنثى كما تكفن الجارية في خمسة أثواب بيض ، لأنه إن كان أنثى فقد أقيمت السنة ، وإن كان ذكراً فقد زادوا على الثلاث ، ولابأس بذلك . فإن للرجل أن يلبس في حياته أزيد على الثلاثة . وأما إذا كان أنثى كان في الإقتصار على الثلاثة ترك السنة .

إرثه :ذهب المالكية في المشهور من المذهب ، والحنابلة وأبو يوسف ومحمد من الحنفية إلى أن الخنثى يرث نصف ميراث الذكر ، ونصف ميراث أنثى عملاً بالشبهين ، وهذا قول ابن عباس والشعبي ، وابن أبي ليلى ، وأهل المدينة ، ومكة ، والثوري وغيرهم .

وهنا اختلطت القضية بقضية أخرى أثارها كثرة المتحولين جنسيا ،فكررت اللجنة رأيها وأضافت إليه نصا يقول :

- التحول الى أحد الجنسين: حثَّ الإسلام على التداوي ، وإذا أوصى طبيب مسلم ثقة بالقيام بجراحة يعود نفعها على المريض تصير هذه الجراحة في حكم الواجبة ، وهذا الشخص يطلق عليه أنه خنثى ، ومن أحكام الخنثى عدم مخالطة الرجال لإحتمال أنوثته ، و لا يخالط النساء لإحتمال ذكورته إلا إذا روعيت الآداب والضوابط التي نص عليها الفقهاء. ويجلس خلف الرجال إذا كان مع الرجال ، وأمام النساء إذا كان مع النساء (وهذا في الصلاة خاصة)حتى يعالج ،ويلحق بجماعة الرجال أو النساء على حسب ما يوصي به أهل الخبرة والثقة من الأطباء المسلمين . وإذا اقتضى الأمر إجراء عملية جراحية لتَحويله إلى رجل أو العكس فيجوز له عملها متى كان المقصود منها إبراز عضو خلقي مطمور، ولا يجوز ذلك لمجرد الرغبة في التغيير فحسب.

وتخريجا على ما ذُكر، فإنه يجوز إجراء جراحة لإظهار علامات الأُنوثة المَطمورة، أو علامات الذكورة المَغمورة متى انتهى رأي الطبيب الثقة إلى وجود الدواعي الخَلْقيّة في الجسد الذي به عِلَّةُ التداوي، والتي لا تَزُول إلا بالجراحة باعتبارها مُظهرة لمَا استترَ مِن أعضاء الذكورة أو الأنوثة، وتَصير هذه الجراحة واجبةٌ متى نَصح بها وقرَّرها الأطباء الثقات، وتكون علاجًا مأذونًا به شرعًا.

وهنا تشعبت الأقوال واحتار الحيارى من الناس فى أمر "أم قرقر "فهى عاشت كامرأة دخلت على كثير من النساء وكانت تباشر ختان الإناث بشبابها وتطييب النسوة قبل الزواج وجلوتهن لأزواجهن ثم ادعت أنها صاحبة ولاية واتخذت لها طريقة صوفية

وهنا أخذ الباحثون فى استشارة بعض الأطباء النفسيين عن مثل حالات السيدات اللاتى عشن فى جسد امرأة وهم فى الحقيقة رجال يملكون أعضاء ذكورية كاملة

وكذلك تشعبت البحوث والتحقيقات الإجتماعية والصحفية إلى دراسة النسوة اللاتى اتجهن للحضرات المقدسة الصوفية كشكلا بديلا عن الزار فأوضحوا أنها نفس الطريقة ولا تختلف كثيرا إلا أنهم ألبسوها الثوب الصوفى للتحايل على رجال الداخلية وازدراء المجتمع المصرى لحفلات الزار التى انقرضت . فالتقوا مثلا طبيبا مشهورا قال أنه أجرى دراسة نفسية عن الزار وتم نشرها فى العام ١٩٦٨، وفى مراحل تحقيقها قام بعرض الأغانى والطبول المستخدمة فى الزار فى أحد المؤتمرات الأوروبية فى الخارج وأعجب بها العلماء جدا وأكدوا أنها مؤثرة، موضحا

أن كلمة زار باللغة الأبهرية معناها الروح الشريرة والزار موجود فى الحبشة وجيبوتى ومصر ويحتاج إلى قيادة، وهى «الكودية» التى تقود الزار وغالبا ما تكون قوية ويتردد عليها سيدات من مختلف الطبقات من جاردن سيتى حتى باب الشعرية، و٨ ٪ ممن يلجأن إلى حلقات الزار خريجات جامعة، وزوجات أساتذة كبار ومشاهير. وكان لى صديق تقوم زوجته بعمل زار فى منزلها بصفة دورية اعتقادا منها أن الزار يقوم بطرد الشياطين من المكان.وأوضح أن معظم الذين يلجأون للزار يعانون من الأمراض النفسية، التى يعبرون عنها ببعض الآلام التى يشعرون بها ومنها آلام المفاصل وتميل فى الجسم .وذكر أنه يبدأ الزار بهز الرأس على حركة مع الطبول والغناء والرقص بشكل قوى حتى يصبح المخ فى حالة من اللاوعى وهنا يتقبل الشخص أى كلام أو أى نصيحة، وتوهم الكودية ،المرأة المصابة بأنها انتزعت الجن اللى لابسها، وفى حالة الغفلة التى تكون فيها المرأة ملقاة على الأرض تصدر لها «الكودية» الأوامر لتنفيذها على الفور.

ثم سأله الباحث عن مدى سيطرة الشخص وقتها على أفعاله ؟

وأكد أنه فى هذه الحالة تكون المرأة على استعداد تقبل أى أوامر من السيدة الكودية، وقد تستغلها فى هذه الحالة فى تغيير مفاهيمها أو إدخال أى معلومات فى مخها وتكون المرأة على استعداد كامل لتقبل آرائها وتنفيذها فى هذه وتردد عليها الأمر عدة مرات وهذا الترديد له تأثير فسيولوجى على المخ مما يجعلها تنفذ أوامرها على الفور وتقنعها بأنها كانت ملبوسة وأن الزار خلصها من الجن.وأصبحت الآن تلبس زيا شرعيا رسميا بجعلها كحلقات الذكر الصوفية وقد تعددت الآن طرقها والتى زادت على عدة مئات أسست لها الدولة مجلس أعلى هو "المجلس الأعلى للطرق الصوفية " وكل طريقة لها بطاقة عضوية خاصة وشيخها وخليفتها ،حتى ظهرت سيدة الحضرة صاحبة الكرامات و عدة سيدات أخريات تتبرك بهن تابعاتهن ،كما افتضحت قصة أم قرقر بعد عقدين من الزمان وإنتى أطالب بتفكيك هذه الطرق ففى كثير منها يحدث إختلاط تام بين النساء والرجال يصل لدرجة أن المرأة يغشاها رجل أو أكثر وهى بين الجموع تعانى من حالة التيه واللاوعى من الرقص والغناء والطبول التى تصاحبها دائما البخور والروائح العطرية المختلفة بل إنتى وجدت كثير من البسطاء يخصصون فى منازلهم شققا أو غرفا كاملة لصاحب الطريقة إن مر يوما ببلدته فيستضيفه بها، أو يجعلها لزملاءه المسافرين إلى الموالد المنتشرة بكل ربوع مصر ويحرم على نفسه وأولاده ما وسّعه الله عليه من مال وبيت ،بدعوى أنها مخصصة لصاحب الحضرة والفضيلة ،بل وصل الأمر لدرجة أن بعضهم يهب زوجته أو ابنته أوأخته لسيده رئيس الطريقة ويسمونه "الخليفة" إن مكث عنده ليستمتع بها وتقوم على شئونه – وهنا استعجبت السيدتان

-ربما تبالغ قليلا سيادة الدكتور ؟

لا أبالغ بل إنتى جالست أحدهم وكان كمثل القرقرانى له مريدين عدة حتى ألقى القبض عليه وأصّر إلىّ أنه كان يطلب من أتباعه بمجرد أن يدخل بيته إتيانه أهله من النساء ليوزع عليهم بركاته وتجلياته ،فإن وجد بهم حلاوة أوحى إليهم بحاجته لإمرأة وهبة تؤانسه ليلته ،وكان من السذج الكثير الذين يلبون مطلبه وأكثرهم يعطيه زوجته بل لعله يتمنى

عليه أن يبيت بفراشه لتحل عليه وعلى أهل داره البركات ،"بل إننى أخصكم بسر فاقتربتا منه وقال لهن :

أن أحد حكام دولة عربية يلقبونه بسيدهم وأميرهم لا يمنعون عنه أحد من نساءهم ، بل إنهم هم الذى يسعون بهن إليه ،أو إلى أحد خدامه ووزرائه فيتسلى بها شهورا ببركة أميرهم وخليفتهم ،وكانوا يسعدون بذلك فقد توارثوا على أنه هو سيدهم وأميرهم فى الدنيا والآخرة الذى سيصطحبهم للرضوان فلا يجب أن يبخلوا عليه بشيء من أنفسهم وأرواحهم،وهناك آخر كان يتبع أحد مدعى التصوف والكرامات فما كان يبخل عليه من مال الإمارة وأهلها ونساءها كمثل متعة الشيعة ،بل وأكثر فكان يجمع فى دار ضيافته فوق التسعة نسوة يغشاهن جميعا بل إن منهن من كانت زوجات لكثير من وزراء الإمارة ، فسألتا

- من هما ؟فأشار إلى جهتين من الجهات الجغرافية الأصلية يمينا ويسارا ففهمتا ،وإن كانت نساء هذه الدولة فى الجهة الغربية قد خرجت بعضهن عن المألوف ،وأباحوا بذلك السر لبعض الناس . ثم أنهوا لقاءهم به
- نشكر سيادتكم كثيرا على هذه المشاركة فى أطروحتنا وتحقيقاتنا

أتمنى أن تستطيعوا استكمالها وعرضها ونشرها ،وأحذركم على أنفسكم فأنتم دخلتم أكثر المناطق المتفجرة فى المجتمع وأشدها توحشا فى الباطل لعدم إحقاق الحق وإظهاره .

- نتمنا ذلك – وبدا من كثرة ما لاقوه أن الأمر عسير وشاق جدا.

٩- انتهت القضية

وقبيل فتح تحقيقات موسعة فى موضوع قتلى المصحة النفسية التى كانت تعالج بها وردة بنت شربات ووجد داخل غرفتها على فترات متقاربة سبعة جثث خمسة رجال وسيدتين وبالتحرى تلاحظ لرجال الأمن أن الممرضين القتلى لم تظهر عليهم أية شواهد طعن أو خنق إلا من قطع دائرى حول قضيب كل منهم تسبب فى إدماء كامل لهم حتى توفوا ،أما السيدتين فقد كانتا كذلك ولكن فى ثدييهما وعند الوريد فى رقابهم ،واحتاروا فى تفسير ذلك ،وامتنع كل العاملين بالمصحة بذكر حقائق تعاملهم مع المرضى وطرق علاجهم ،وحاولوا أثناء التحقيقات مع وردة أن يتحصلوا منها على أية معلومة ولكنها كانت صامتة تماما هادئة غالبا تضحك بشكل هستيرى كثيرا وتردد فقط

- قتلتهم أم قرقر .

فقرروا استدعاء الطبيبة النفسية التى لازمتها بدء من قضية خنقها لأمها شربات وأتت ومعها الإخصائية وجلسوا جلسة رابعة معها وكانت هذه المرة مربوطة بسلاسل حديدية فى نهايتها كلبشات تضم يديها للخلف حول كرسى خشبى ضخم مثبت بأرضية غرفة الحجز التى نقلت إليها داخل العنبر الجديد بالمستشفى ،وبعد لحظات صمت أخبروها أنهم استوثقوا من كلامها سابقا عن أن أم قرقر رجلا وليست أنثى لأنهم التقوا بها بعد القبض عليها بتهم نشر الفجور واتخاذ مسكنها للأعمال المنافية للآداب ،ثم الكشف عليها عن طريق الطب الشرعى فوجدوا أنها خنثى مشكل بارزة عضو الذكورة وكاملة أعضاء الأنوثة فى ذات الوقت

- إزيك يا وردة ؟ ولكنها لم تجب وأخذوا يسردوا لها ما علموه عن الطبيب رأفت حلمى زكريا وقصته مع أمها –ولكنها لم تعطى حراكا أو إشارة إلا أن نظرها التفت إليهم ثم شردت بعيدا كأنها تتذكر –ومرت عدة دقائق طويلة وهم يروون والأطباء ورجال التحقيق يستمعون من خلال سماعات أوصلت بجهاز تصنت ولا يفهمون أصل وحقيقة أغلب هذه

القصص حتى أتت الأخصائية على ذكر ابنتها ريم وأخويها ،فرأوها تغرغرت عينيها بالدموع وفاجأتها بالسؤال :

- وردة، هى ريم وأخويها أبناء أحمد الزين بالفعل ؟

- فرمقتها بعينيها وثبتت نظرها عليها وتوقفت الدموع وظنت الطبيبة أنها لابد ستحاول خنق صديقتها فاستعدت وحذرتها رغم القيود التى حولها وأتى المحقق والطبيب ونظروا لها جميعا فأشارت لهم أن الأمور على ما يرام فخرجا وأغلقا االباب ولكنها وجدوها هدأت أكثر ثم ردت عليهم :

- طبعا دول أولاد أحمد الزين وبلغوهم أنى عمرى ما خنت أبوهم ولا لحظة رغم أننى كنت أعلم بحقيقة أمى وأفعالها معه ومع غيره ،بل فهمتها واستوعبتها منذ كان عمرى خمس سنوات وهى كل يوم تضربنى وتحرقنى بالنار .وهنا اطمأنت الطبيبتان واستراح الآخرون بالغرفة المجاورة ورفعوا صوت التسجيل وتأكدوا من تشغيله وعدم توقفه فأردفتها سؤالا :

- هل لك يد فى قتل الممرضين والممرضات القتلى ،فسكتت قليلا ونظرت للحائط فلاحظت الطبيبتان جهاز التصنت فأخرجت إحداهما جهاز تسجيل معها

- أنا كما عودتك أننا نسجل لأخذ بعض الأحاديث كوثائق فى بحثنا أما هؤلاء ،وأشارت للاخرين عبر كاميرا المراقبة فأكيد يرغبون فى معرفة حقيقة ما حدث

- أنا لن أتحدث إلا إذا أغلقوا هذا وخففوا القيود وحركت يديها محاولة اراحتهما ،فذهبت صاحبة التسجيل وتفاوضت معهم على إزالة آلة التنصت ووعدتهم بإعطاءهم نسخة مما سوف تسجله فاعترضوا بأنها ربما تمنعها أيضا من ذلك ،فطالبتهم بالوثوق بهما فأمر ضابط التحقيق معاونيه وبرغم اعتراض أحدهم بإزالتها ،ودخل ونظر لها نظرة تعجب لها وهى تبتسم ثم خرج ودخلت الأخرى وأغلقت الباب وقربت لها هاتفها المسجل فأخذت تروى لهم :

- هؤلاء جميعا حاولوا اغتصابى بعدما نقلت إلى هنا، فلم تمر أيام حتى بدأ الجميع فى التحرش بى وملامسة أجزاء جسدى ،وهنا استنفر الغضب الطبيبة النفسية

- أنا توقعت ذلك فجسدك يغرى وصمتك يغرى أكثر

- أنا كنت سابقا أصمت مرغمة ،فقد كانت لسعة النار التى حرقتنى بها شربات على مدى عشر سنوات تمنعنى عن المقاومة أو الإنتقام ،فلما تزوجت أحمد الزين ووجدت منه حسن العشرة والملاطفة بدأت استفيق واسترد نفسى ، ولكن كانت تقف بينى وبينه دائما شربات فكلما وجدتنى سعيدة معه ويرفضها بعدما تيقنت أنا وهو أنها تضع له شيئا بالمأكولات التى تعدها تجعله يغيب عن الإدراك ويطاوعها فيما ترغب فتأخذنى أياما لديها بالإجبار من بين أهله فإذا لم أذهب معها تعاود كرتها بضربى ولسعى بالنار

- هل كانت تفعل ذلك معك بعدما كبرت وتزوجتى ؟!

- نعم فكلما رأيتها أجد نفسى مستسلمة لما تقول وأنفذه بلا تردد وحاولت عدة مرات أن أقاومها فكانت تأتى بأم قرقر لتساعدها فى عقابى وحرقى خاصة فى أجزائى الداخلية ثم تتركنى لها تفعل بى ما تشاء

- هل كان المدعو أم قرقر يغتصبك ؟

- نعم منذ أن أتممت ثمان سنوات كان يأخذنى لديه بالبيت بحجة إعطائى أشياء لأمى ثم يعرينى ويعيبث بجسدى ،وكنت قد اعتدت على ما يفعله مع شربات

- وهل حاول أن .....وصمتت وهى تعنى إدخال عضوه الصغير بداخلها

- فى صغرى لم أكن أمكنه منى فكنت خفيفة أسرع من بين يديه وأخطف ملابسى جارية خارج البيت، فاستعملها معى كلعبة يطاردنى داخل بيته أو عند شربات فإذا أمسكنى يضع يده من أسفل فستانى ويحاول أن يزيل عنى ملابسى السفلية ويضمنى إليه فلّما أقاوم يتركنى ويعاود القبض على ثم يتركنى ،حتى أصبحت أتسلى بهذه الطريقة معها ، وفى ذات يوم بعد زواجى أتت بحجة مرض شربات وأمرت زوجى للذهاب بها

للوحدة الصحية ،وبقيت معى وراحت تعيد معى لعبتها ولكن هذه المرة لم تعطينى فرصة للهرب فقبضت على ومنعتنى من الحركة حتى أدخل طرفه بداخلى وعلمت منها أن شربات استدعت زوجى للإيقاع به كذلك .

- هل كانتا دائما تفعلان ذلك بك وبزوجك ؟

- ليس كثيرا فكنت أنا وزوجى صغار، أنا ربما بالرابعة عشر وهو تقريبا لم يكمل العشرين، ولكن بعدما أنجبنا ريم بدأت تصبح لديه إرادة منذ آخر مرة أنبّه أهله خاصة أمه بألا يكون طيبا لدرجة السذاجة والبلاهة ، فاشتد وعيه قليلا وكذلك فعلت معى

- وهل استطعتم مقاومة حيل شربات وأم قرقر ؟

- نعم وامتنعت سنتين عن زيارتهما ورفضتهما فى زيارتهما لى إلا أن مرضت شربات مرضا حقيقيا ،فدعتنى لرعايتها ووبخنى أهل نجعنا على رفضى الذهاب إليها ،خاصة مع عدم وجود أختّى قريبا من بلدتنا ،ومكثت معها ليلتين وخلالهما كانت تأتى أم قرقر بطبيب الوحدة ليعطيها إحدى الحقن ،وفى آخر ليلة دخلت على بشهوتها وأقنعتنى أنها ستتركنى بعدها لشأنى فهى سوف تغادر البلدة خلال شهور للسفر إلى أرض الحجاز عند بنى دريعة الذين طلبت نساءهم استدعائها بحجة القربى التى بينهم بعدما سمعت بما تفعله بتجلية وحفافة البنات ،وأخذتنى أخذة رجل كامل - وهنا تذكرت السيدتان يوم أن ذهبتا إليها فى جلستها الخاصة واستمعتا منها بعض الأسرار والتى تطابقت مع قولها فى التحقيقات الرسمية بعد ذلك ،وكانت تجلس بخلوتها الشخصية بإنتظارهم وكانت الخلوة غرفة مربعة الشكل جوانبها كلها مرصوصة بسنادات قطنية ناعمة وأرضيتها كذلك مع مفروشات حريرية وهى تجلس فى منتصفها وأجلستهما بإحدى الزوايا وكانت تدخن الشيشة وأمامها بعض المشروبات وكانت الغرفة كلها مشبعة بالبخور والعطور والتى ما مكثوا فيها إلا قليلا حتى أحستا بدوخة ولم تشعرا إلا وهى تعبس بأجزاءهما وكأنّهاغشيتهم كرجل - ثم أعلمتنى بطريقة أستطيع أن أقتل أحدهم إن حاول إغتصابى بواسطة هذا – وأشارت إلى فرجها – وهنا انتبهتا وتعجبتا ونظرتا لبعضهما

- كيف ؟!

- فأخبرتهم بطريقة علمتها لها ما إن يحاول أحدهم إدخال عضوه بها فتقبض عليه وتثبته تحتها ثم تغلق عليه أجزاءها حتى يعتصر فحفظتها عنها،ونفذتها مع أول ممرض استغل إنفرادها بإحدى الغرف وانشغال الجميع عنها فأوحت له أنها مستسلمة ، فقتل بين فخذيها وهكذا مع الآخرين

- والممرضتان ؟!

- لقد حاولتا أيضا معى فأوهمتها باستعدادى وقبولى فإذا تمكنت من إحداهن قطعت لها ثديها بأسنانى ووريدى رقبتها،وهنا لم تستوعبا الطريقة التى تفتك بها بالآخرين ثم تركتا التعمق معها فى شرح ذلك ،حتى لا تثبت عليها تهمة القتل

- وإذا عدنا للوراء كثيرا هل تعيدين قصتك مع شربات بنت ميمونة ،وهنا بدأ عليها الضيق والحنق ثم قالت :

- بدأت قصتي منذ الولادة عندما أرادت أن تنجب ولدا لتجعله سيدا للقرية وتنسبه لأحد أكابر القرى المجاورة كما فعلت كثيرات من قريباتها ،فولدت أنا في نفس يوم شاهدت أمي منام أنها أصبحت عجوز دميمة يقذفها الناس بالحجارة وأحذيتهم ، وبدأت قصة عذابي لا قصة حياتي ...فكانت تكرهني تتعامل معي بحقد شديد تضربنى دائمًا بلا سبب ،رفضت إرضاعى فأتوا بمعزة لترضعنى، ولما كبرت كنت ألجأ إلى أبي الذي أجد عنده بعض الحنان ،لكن للأسف صارت تناكد أبي وتشاجره بسببى ،لأنه يقف معي ضد ظلمها. ثم ظهر عليها مرض عضال وراثي ورثته عن أمها ، وهنا زاد كرهها لي وانتقامها مني لأني أنا السبب كما نبأها الحلم ،وزاد حقدها علي كلما كبرت ، فكلما كبرت ازددت جمالا وتطلع إلى الجميع كبار وصغار رجال ونساء ، ثم توفى سندي توفي أبي بعد إصابته بجلطة دماغية بسببها،وبعد الوفاة أصبحت معاناتي معها أكثر وأكبر خصوصا أني كنت متميزة بجمالي بين أخواتي ،عينين عسليتين وشعر أشقر ذهبي بيضاء البشرة كنت أحظى

بالمحبة من جميع من أقابلهم ،حاولت أن أعاملها بحنو ولطف كما تفعل الأبناء مع أمهاتهم لكنها لا تبادلني ولا حتى بكلمة حب ،ولما تزوجت أختى وتركتانى بمفردى مع التي تكرهني وتحقد عليّ ،حان دورها لتنتقم مني بدون ذنب . .. خاصة بعدما كثر الزوار الذين يأتون لنا ،وهنا أعلنت الغيرة لأن الجميع يأتي لزيارتي أنا ولأجلي وليس لأجلها ،فطردت كل من تحاول أن تطلبنى زوجة لابنها ،ثم أصبحت مسجونة في غرفتي بلا طعام ولا شراب كما خططت لها أم قرقر ،وظللت في هذا الحبس لا سند لي حتى استسلمت لهما فى النهاية وصرت طوع أمرهما ووجدتها أم قرقر فرصة لاستغلال جسدى ،وشربات تستدعى الرجال بإيهامهم أنى أنا التى سيمارسون معها شهواتهم فإذا ما أتوا وهيّأت لهم الجلسة وضعت لهم أم قرقر المشروب التى تعده فترتفع شهوتهم ولكنهم يفقدون التمييز فتأخذهم هى لفراشها.

- وهنا تأكدت الطبيبتان من الروايات السابقة لأختها وابنتها وشعرتا بالرأفة بها والشفقة عليها، ومدى الإستغلال الذى تعرضت له فطلبتا منها التوقف عن سرد ذكرياتها ،ثم عادت لتذكيرهما بإستسماح أبنائها لها وبالأخص ريم فهى لا ذنب لها كما كانت أمها ،فهى التى أصرّت على إبعادهما لدى والدهم بعدما أمرت شربات بطلاقها منه وحبستهم لديها سنة كاملة لما قاوم ورفض رغباتها، فحاولت الإنتقام منهم بإذلالهم وأن تفعل بريم ما فعلته بها ،فتتحول بعذابها عنها إليهم بالضرب والحرق كما كانت تفعل ،وآخر مرة أتوا إليها بأمر من أبيهم حاملين لها الهدايا والأطعمة ،وحدث ما كان فقتلت شربات بنت ميمونة الحلبنجية .

وشكرتاها كثيرا ووعداتاها أنهما سيخرجانها وأن محاميا صديقا لهما تطوع لإثبات تعرضها للقهر المؤدى لاضرابات سلوكية ،بل أنه سيثبت أنها كانت ردود فعل طبيعية للدفاع عن نفسها ،وتوجهتا لغرفة الأطباء ووجدوا رجال المباحث على أحرّ من الجمر يتقلبون من عجزهم أمام هذه الحالة فاختطفوا الهاتف وأتوا بجهازهم المسجل ،وأداروا التشغيل وذهلوا مما سمعوا ولم يقتنعوا به كحقيقة ،واتهموا الطبيبتان بتأليفها والإتفاق معها على قولها

وسردها ،ولكنّ الأطباء أبلغوهم أن ذلك يمكن أن يكون حقيقيا كما بينته آثار الجروح على المتوفين ،بل إن طبيبا منهم وكان استشارى يرأس أحد الجمعيات العلمية للطب النفسى أبدى رغبته بالإنضمام لهما فى دراستهما وتحقيقاتهما ،بفوعدتاه بإستشارة الآخرين مرحبين به معهم ،فلما أخذت التسجيلات إلى القيادات العليا وجدوا لديهم أمرا بإغلاق مؤقت لقضية قتلى مستشفى الأمراض العقلية وبدون توضيح الأسباب .

وأقفلت القضية على أنها تعرض معالج لحالة هياج هستيرى من مريض متعدد الإضطرابات النفسية والسلوكية وانفصام الشخصية لعدم اتباع وسائل السلامة المهنية . ثم اختفت وردة بنت شربات من المستشفى بل من أرض مصر وادعوا أن أهلها قتلوها ودفنوها بعدما استطاعوا تهريبها من المصحة العقلية ،ولكن فجأة ظهرت فى موسم بنى دريعة من أرض الحجاز كمثل وتميمة لبناتهم ،لجذب الزائرين لموسمهم السياحى والذى أظهرته إعلاناتهم أنه شبيه بخيام صاحبات الريات الحمر وهن ملتفات حول الكعبة .

١٠- أمراض إجتماعية وبائية

- ورغم أن قضية وردة بنت شربات أغلقت سياسيا إلا أن تداعياتها القضائية لم تنته فقد كانت هناك قضايا متعددة منها واحدة تتعلق بغلق نقابة الأنساب لوجود شهادات نسب مزورة بها ،كما أن هناك قضيتى رأفت المصرى وأم قرقر اللذين توفيا خلال أمر الحبس الإحتياطى لهما ،ثم قضية عودة جماعات التكفير والهجرة ، والتى فى إحدى جلساتها وقف وكيل النيابة فى مواجهة المستشارين مرددا قولا جديدا وأخرج من بين طيات أوراقه كتابا وقال أمام الجميع اسمعوا معى هذا :

- ثم اندهش الناس كيف لرجل مثل أبى لؤلؤة المجوسى بعد أن نجّاه المسلمون من الأسر لدى الرومان وأكرموا ضيافته فى المدينة أن يقوم بقتل عمر بن الخطاب وهو يصلى الفجر فى المسجد النبوى ،ثم اندهش الناس ..كيف أقنع المنافق ابن سبأ بعض المسلمين بجور وطغيان الخليفة عثمان بن عفان ذى النورين حتى ثاروا عليه وقتلوه وهو يقرأ القرءان ،ثم اندهش الناس.. كيف بشخص ملتزم صالح كعبدالرحمن بن ملجم الذى يبدو للناس صاحب صلاة ودين وصاحب قرءان أن يقتنع ويبرر قتل الإمام على بن ابى طالب وهو يصلى ،واندهش الناس.. كيف بخادم الحسن بن على الذى لم يجد منه إلا خيرا وكيف قام بخيانته ووضع السم له فى الطعام ،واندهش الناس.. كيف استطاع جيش يزيد أن يقتلوا بلا تردد الحسين بن على حفيد رسول الله ﷺ ويمثلوا بجثته ويقطّعوا رأسه بكل حماسة وبرود مقتنعين أن ذلك هو الحق المبين .... الأمثلة كثيرة وأساليب الإقناع عديدة تارة باسم الدين وتارة باسم الوطن وتارة باسم كرسى الحكم نفاقا لمن عليه ..لكن الحقيقة المؤكدة – وأكررها ثانية وارتفع صوته عاليا وتخشن

- أن هؤلاء الذين اقتنعوا بمثل هذه الموبقات وامتثلوا لأمر الظالمين هم فسدة فجرة ..فسدة فجرة..فسدة فجرة.. لن تنجيهم قناعاتهم وحججهم أمام الله، لأنها قناعة لفطرة منكوسة لا تعرف معروفا ولا تنكر منكرا إلا ما وافق هواها..،وسيظل عمر وعثمان وعلى

والحسن والحسين وأمثالهم أسيادا فى الدنيا والآخرة وستظل اللعنة تلاحق قاتليهم وظالميهم ومن افتروا عليهم فى الدنيا والآخرة .. ميزان الله عدل لايظلم مثقال ذرة .ثم ردد الآية الكريمة (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا) ، ولن ينفع المفتونين ما زينت لهم عقولهم وشياطينهم ..والخلق العدول شهود الله فى الأرض وإن قلوا ،والأغلبية دائما غوغاء يتبعون كل ناعق ..!! وعندما يسألهم الله يوم القيامة (ما سلككم فى سقر سيقولون(وكنا نخوض مع الخائضين)، هذه كلمات سطرت منذ خمسين عاما عن حوادث تاريخية كان أساسها التسامح مع فئات ضالة تخدع الناس باسم الدين وتكفّر الحاكم والمحكومين ، ولن أسرد عليكم وقائع جماعات التكفير الأولى بالسبعينيات والثمانينيات من القرن الماضى فى داخل مصر وخارجها فالكل عايشها وعانى من ويلاتها ، أنا هنا لأحدد مكمن الداء وأساسه ، أيها السادة الداء يتلخص فى أربع كلمات مجملة لأمراض وبائية إجتماعية أصابت مجتمعنا المصرى وهى :

- " الحلبنجية – الإخوانجية – السلفنجية – الكشحنجية" وتعجب الناس فى قاعة المحكمة ،وهاج بعضهم من قوله فأسكتهم القاضى

- وسأفصّلها لكم تفصيلا بسيطا بعد الإجمال:

- فالأولى مجموعة إجتماعية تمتهن أحقر المهن منذ قديم يغلب عليهم عدم التدين ، والثانية حركة سياسية متعددة النشأة التاريخية والجغرافية ،والثالثة فئة تلبس الدين لتستولى على حكم البلاد كما كان زمن على وعثمان ، وأما الرابعة فظهرت حديثا كتجمع لحركات مسيحية خارجة على الكنسية المصرية القبطية وخلفها جهات خارجية داعمة ،فالأوسطتين للأسف تتلبسان رداء الإسلام ،وكثير أتباعهما أصلهما واحد واختلفت أطماعهم،إذن كلهم شرور على الوطن وما نحن بصدده من قضايا وردة بنت شربات والقرقرانى والمدعوة نوال أو أم قرقر ومراكز تجميل النساء المسماة" نيو بيوتى سنتر وومن" كغطاء لأعمال الدعارة وتجارة الجنس وغيرها من موبقات توطنت بالبلاد ولم نلحظ امتدادها بطولها وعرضها ،نحن الآن أمام أزمة أمة ،ووطن معرض للإنهيار الإجتماعى

والإنفلات الأخلاق ،وبالتأكيد كلها حروب خارجية للقضاء على آخر مقاومة للأمتين العربية والإسلامية "مصرنا كنانة الله " ،بعدما تفسخت المجتمعات والدول من حولنا وتفككت سياسيا وانهارت أخلاقيا، لذلك أعرض عليكم تعريفا بكل منها يستلزمه معرفة أصل الداء لتدارك العلاج بالإصلاح أو البتر أحيانا عند الضرورة ،وما سأقوله ليس محض افتراءات بل آخذها عن باحثين ودراسات علمية موثقة جمعت أغلبها فى تلكم المستندات التى أودعها لدى سيادتكم،ونظر بعضهم في نسخ معهم وقلبوا عناوينها،وإذ إنتى أرجو سماحتكم افساح المجال لى لعرض الأمر – فوافق جمع القضاة له وأعطوه إذنا بعرض ما لديه وانتبه الحاضرون وكأنهم فى مجلس تشريع الدولة لا محكمة تناقش قضايا معروضة أمامها :

- أولا سأبدأ بآخر ما ظهر من قضايا وهى قضية المدعو رأفت حلمى زكريا المتجنس بعدة جنسيات ورئيس المذهب المسيحى الجديد بمصر والذى اسميته "الكشحنجية"

- أولا كما جاء فى لسان العرب لابن منظور أن الكشح هو ما بين الخاصرة إلى الضلع من الخلف ،وهو من لدن السرة إلى المتن ،والكاشح هو المتولى عنك بوده والعدو الذى يضمر عداوته ويطوى عليه كشحه أى باطنه ويخبأ العداوة فى كبده ، والكبد بيت العداوة والبغضاء ،ويقول الأزهرى كشحه كشحا أى فرّقهم وطردهم ،هذا من أصل التسمية أمّا حقيقتهم فهى حركة دينية أسّسها ذلك المدعو بحجة بسيطة وهى أزمة شعب الكنيسة المصرية مع قادة الكنيسة ،وخاصة فى مسائل الطلاق والميراث وحق المرأة فى أن تكون رئيسة كنيسة أو أبرشية ،وسآخذ هنا من إعترافاته التى سجلت عن لسانه بعدما ألقى القبض عليه بتهم عديدة منها إتهام بتهديد السلم العام للمجتمع المصرى والأهلى لشعب الكنيسة القبطية ،فقد قال عن سؤال وجه له لماذا أسست المذهب ومن هم أتباعك ومناصروك ؟وكيف تمول حملاتك الخيرية ؟فأجاب :

- أولا أحب أن اثبت لديكم أننى الآن مسلم ولله الحمد ،أما المذهب الذى كنت أسسته بمصر فلم يكن جديدا إنما جزء من "الأدفنتست السبتيون"وهم طائفة مسيحية بروتستانتية نشأت في الولايات المتحدة بالقرن التاسع عشر ولهم شبكات واسعة من المدارس والمستشفيات حول العالم،وكانت موجودة بمصر فترة الإحتلال الإنجليزى ،وإنما عملت على إحيائها مع تضمينها حلا لمشاكل الأقباط فى مصر ،وعند سؤاله ما هى أهم اختلافاتهم عن الطوائف المسيحية فى مصر رد:

- أننا نبيح تولى المرأة رئاسة الكنيسة والأبرشية -ركزوا معى أنهم يؤمنون بجواز تولى المرأة شئونهم الدينية -وبالطبع لهم خصائصهم فى تلك المرأة ،أما تمويلاتهم فقد أخبرنا أنها تأتى من مصادر متعددة أغلبها سفارات أوربية ،وجزءا من تمويل هيئة المعونة للمجتمعات المدنية "وأكرر ورفع صوته وضغط على حروف الكلمات "وجزءا من تمويل هيئة المعونة للمجتمعات المدنية .

- أما الحلبنجية تدل على نفر دخلوا البلاد فى فترات مختلفة وربما متعاقبة منذ هدم الهيكل على رؤوس بنى يهود بواسطة الحاكم الأوربى الرومانى "تيتوس" ،وآخرون أتوا من أقاصى الهند بعد ظهور التتار المفترسين ،وانتشروا فى العالم وآخرهم من أتوا كعبيد وجوارى فى زمن المماليك والعثمانية ،وكثيرون يصدقون أسطورة أنهم أحفاد قابيل الذى قتل شقيقه هابيل ،أما تاريخيا فالحلبى أو الغجرى أيًا كانت الصفة ، ينقسمون إلى عدة شعوب منهم الرومن فى شرق أوربا ،والنور والدومر بالشرق الأوسط ،وأحيانا يسمون الحلب أو الغجر والمساليب فى مصر والدول العربية ،ويرجع وجودهم فى مصر إلى ما بين عامى ١٥٤٦ و١٥٤٩ ميلادية، وتقريبا هى نفس فترة تواجدهم بأرض الحجاز ،ودائما كانت عيشتهم الترحال يتجمعون على أطراف القرى فى أسرة أو اثنتين ويعتبرون بلاد أخرى قرى عبور يمكثون بها عدة أشهر فى المواسم الزراعية ثم يعودون لمستقرهم المؤقت أو يرحلون إلى أماكن أخرى ، وعادة يعيشون فى مساكن من الطوب اللبن أو القش والبوص وأحيانا قليلة بالطوب الأحمر ،وعادة يتوسط مساكنهم حوش متسع به

الأغنام وتتجمع حولها الكلاب ،وكانوا قديما يعملون فى صناعة المناخل من شعر الخيل وعمل الحصر من جريد النخل ، والرقص الشعبى وأعمال البهلونات وتدريب القرود خاصة الذين يسكنون بقرب المدن ،وتعمل نساء الغجر فى قراءة الطالع وعمل الوشم للنساء وتجميلهن ،وكانت قديما باستخدام السكر والعسل الأسود،وبعضهن تخصصن فى السرقة والتسول ، والمرأة هى المحرك الرئيسى للحلب أو الغجر فهى التى تعمل بالتسول أو السرقة أو دق الوشم للنساء وجلابتهم ،لا يعرف حتى الآن عدد الغجر فى مصر أو أماكن توزيعهم فهم يتبعون طرق الخداع ويفرّون إلى القرى وأطراف الصحراء ،ويفضلون الإحتفاظ بكل جوانب حياتهم سرا خاصا بهم ،وهناك مقولة ضعيفة أنهم بقايا الخوارج المنشقة عن الخلافة الإسلامية الذين ساعدوا هولاكو على غزوها ثم أعمل فيهم السيف وفرّ بقيتهم باتجاه الحجاز ومصر ،وعاد الظاهر بيبرس وقضى على أغلبهم بعض انتصاره على التتار وتفريقهم ،ومن بقى منهم تخفوا وانتشروا فى البلاد .وإن كنت رأيت بحثا يعتبراللفظة آتية من هلج وهو من يخبر بما لايوثق به من الأخبار أى إخفاء الشىء ،والإهليج يسمونه القطع الناقص وهو شكل هندسى شبه بيضى وهو ما يؤكد حقيقة أن الحلنجى يشبه الإهليج فى نقصه ،فيحاول إكمال ذلك النقص بالحنجلة كأداة تعويض مضحيا بالجميع لتحقيق هدفه بكل الوسائل والسبل مستعيرين فى حياتهم مقولة جوبلز:

- أكذب أكذب ثم أكذب حتى يعتقد الناس أنك صادق وكلما كبرت الكذبة سهل تصديقها ومن ثم يتقافز الحلنجية بكذبهم على أكتاف الصادقين وبنفوسهم الأمّارة بالسوء على المخلصين والمتقنين والنابهين ،ففى ظل الحنجلة لا مجال لإحترام القيم والمبادىء ولا إعتراف بالأخلاق ولا إدراك للعيب أو الحرام ولا وازع من ضمير ولا خشية من حساب أو عقاب ،وهناك مثل مصرى عامى يقول "ميتحنجلش على الطبلية إلا الصحن العوج" ،وأخيرا يتضح من معايشة بعضهم وتتبع حياتهم أنهم يعتمدون كليا على المرأة ،والمرأة الحلنجية تتمتع بجمال باهر أخّاذ ينتشرون عادة بين الأثرياء ورجال السلطة ،يقتربون منهم جدا ثم يبتعدون فرا وكرا ،ثم يعاودون الإقتراب بشروطهن وينجحن فى

المهام الصعبة ،فالحلنجية تدرس فريستها جيدا ثم تهاجمها برفق أو بالمناورة وأخيرا بالإنقضاض فيسقط فى حبائلهم أغلب رجالات السلطة الفاسدين وذوى الأموال القذرة ،فتتجمع لديهن قوى المال والجمال والسلطة ،وإن أردتم مثالا بسيطا لا حصرا وأخذ يسرد لهم :

- الراقصة المشهورة والفنانة الحالية "ر. س " عارضة الأزياء ،والإعلامية "ل. ك" ،وعضوة مجلس النواب التى صعدت سلم الحزب الحاكم سابقا ومازالت بمكانها " ش. ف" ،أما رجالاتهم الرسمية والسرية فأنتم أعلم بهم منى ؟ وهنا انتبه السادة رؤساء المحكمة وخشوا أن يذكر أحدا من أصحاب الحصانات الأمنية أو القضائية ،فنبهوه بعدم روى الإتهامات بالباطل بلا دليل وأمروه بعدم ذكر أسماء ولو بحروفهم الأولى فوعدهم وأكمل :

- ونأتى الآن على ثالثة الأسافى وهم الإخوانجية والتى ظهرت على عدة فترات متقاربة مع نفس تاريخ الحلبنجية ،ففيهم بقايا طائفة الحشاشين الذين أرهقوا أبطال المسلمين من آل زنكى وصلاح الدين وكانوا عليهم أنكى من التتر والصليبيين ،ثم مرورا بإخوانجية الدونمة المتهودين وهم عجر يهود فروا من الأندلس بعد مذابح الملكة إيزابيلا للمسلمين ولكل من كان يعيش فى وئام مع أهل الإسلام ،وقبل الأخير إخوانجية بنى دريعة الذين تحالفوا مع الإنجليز والصليبين الجدد ضد القومية العربية بعد إنهيار الخلافة العثمانية فى مكة وأرض الحجاز ،فكافأتهم أوربا بتأسيس إمارة لهم هناك وساعدتهم بالمال والعبيد والجوارى ليكونوا خنجرا فى ظهر العرب المسلمين إن تأسست لهم وحدة جديدة بعد اندثار الخلافة ،ومنهم انتقلت بذرة الشر إلى مصر كما تعلمونها وأحاطتهم إنجلترا كالآخرين برعايتها لتحجيم ومنع أى نهضة مصرية توقظ بنى العروبة والإسلام من رقدتهم ،وهانحن قد عايناهم وعاينا منهم فقد انقسموا قسمين الإخوانجية والسلفنجية ، والأخيرة هم رابع الأفاعى، فكلاهما ذو أصل واحد ولكن اختلفت أولوياتهم فالسلفنجية يدّعون الغيرة على الإسلام وهم أول من ينتهك حرماته سرا ويدعون التقوى علنا، فالنساء حياتهم

أولا ثم المال والذهب ،وبهم يأخذون السلطة تارة بالمهادنة وأخرى بالملاعنة وتكفير المجتمعات ،أما الإخوانجية فلا يملء عيونهم إلا بريق الذهب والمال ثم النساء ويتبعونها برغبة جامحة إلى السلطة والحكم ،فإن فشلوا تحالفوا مع الشيطان للوصول إلى مآربهم الخبيثة .

وأين هؤلاء الآن هل انتهوا هل شفى المجتمع منهم ، لا إنهم ينتشرون وينتشرون ويتشعبون بين خلايا المجتمع ،إنهم الآن يتجمعون فى صورة المقامات الصوفية والحضرات المقدسة تشكيلة من كل ما ذكرت ، والأدهى أن الدولة تغض الطرف عنهم بل وتسهل لهم فى إعطاء التصاريح لإقامة الموالد ،وأسّست لهم مجلس أعلى ينخر كل يوم فى جسد الأمة، فقد زادوا على الألف طريقة ،وكلهم يحقد على الآخر ،ويملءه الغل تجاهه ،وأصبحت لياليهم عبثا ولهوا ورقصا داخل المساجد ،وانتهاك للحرمات وانتشر فيهم الزنا واللواط . هذه أيها السادة محن عاتية تضرب المجتمع المصرى ،ولماذا يركّزون على مصر لأن الجميع شرقا وغربا شمالا وجنوبا عربا وعجما يعلمون أن الكتلة الأصلب للعرب والإسلام هى مصر ،مصر التى تحمى والتى تبعث الموات من رقادهم ،فإن فتتت هذه الكتلة من داخلها انهار كل ما حولها ،سيقول القائل وما دخل كل ذلك بقضية صغيرة متكررة ، لا لا أيها السادة إنها ليست قضية صغيرة فهى تؤشر على إعوجاج فى أصول المجتمع المصرى من أناس ادعوا كذبا وزورا الحسب والنسب إلى آل البيت وعترتهم ،وآخرون اتخذوا سماحة الشعب وطيبته مدخلا لإشباع ملذاتهم وبذر نطفهم القذرة فى أرحام بنات العائلات لكى تنحدر الأصول فتتساوى لهم الدنيا ويقفزون فوق الجميع بالكذب والزور والبهتان، وما قضية وردة بنت شربات أو أم قرقر الغجرية وما استحدث من مراكز البيوتى سنتر للتجميل والصحة البدنية إلا نذيرا بين يدى خطر شديد ، يتهدد المجتمع فإما أن نفيق أو تنتكس رؤوسنا جميعا، فالشدة الشدة لا الرحمة ،والقسوة القسوة لا التهاون ،و العذاب العذاب لا المغفرة ،وإن لم تتخذ مؤسسات الدولة موقفها وتقوم بواجبها فعلى أهل الحل والعقد من كبار العائلات وأصولها إعمال العرف فى إنقاذ أصولهم وشرف الأمة

وتصحيح ما أخطأ به السابقون ،اللهم بلغت وكررها كثيرا وصوته يرتفع كل مرة أعلى من سابقتها ،

- اللهم إنى بلغت اللهم إنى بلغت ،اللهم إنى بلغت ،فاللهم أشهد .

وانتهى من مرافعته وصفق الجميع بلا تراخى وصدحت كلماته عاليا فى آذان المجتمع وبدأت من داخل الداخل عملية التصحيح فقد استيقظت الدنيا يوما ،وإذ بأهل الجنوب بدأوا فى إحراق كل البيوت الباطلة وقطع رؤوس الزانيات وإلقاءها بجسدها فى آتون النار المشتعلة ،ووقف أحد المستشارين الذين تعرضت ابنته المستشارة فى يوم زفافها لإغتصاب جماعى بأحد مراكز التجميل المسماة بيوتى سنتر "المرأة الجميلة" بإيعاز من مستشار رفض طلبه بالزواج بها لدناءة أصله ووضاعة أهله ،فقد كانت عائلته من المدعيات بالنسب الشريف وعند التبحر جنوبا فى البحث عن سلفه كانت إحدى الحالات المشابهة لمنشأ عزبة أم قرقر ووردة بنت شربات ،وصحح المجتمع ذاته بنفسه بعدما اندلعت بالعالم مظاهرات واحتجاجات تطالب بالحرية للقديس رأفت زكريا ،وللشيخة نوال منجبة القرقرقانى الذى تحول إلى أمريكا ،وصار هناك هو المسيح المخلص صاحب المعجزة فى مولده ،حفيد داوود الملك كما ادعى فى نسب مزور جديد ألقاه عليهم أحد خدامه اليهود وسمى "جلرجيوس بن داوود المخلص " ووجهت أتباعها إلى أرض العرب وأخصها سيناء من أرض مصر .

وبين تركز الأنظار على المحاكمات والتحقيقات والمظاهرات الدولية ،فوجىء العالم بجثتين فى النيل إحداهن لإمرأة تشبه وردة بنت شربات ،وهنا شكلت لجنة عليا للوقوف على حقيقة الحادث ،وبعد مدة يسيرة فاجأت الحقيقة العالم فالجثتين لريم وعلى ابنى أحمد الزين من وردة بنت شربات ،وهنا تسأل الجميع إذن أين اختفت وردة بنت شربات ،ومن قتلها ولماذا ؟

واستلم أهل أبيهم جثتيهما بعد التشريح ووجدا أنهما قتلا برصاصتين غير مصريتين ،ودفنا تحت الشجرة الوارفة بجوار أبيهم بعدما تطهرت البلدة وما حولها من قرى بإحراق بيوت الزانيات وأهلهم ونبشت قبورهم ،وألقيت رفاتهم فى نار خيمهم القديمة ،ولمّا أخذ مشهد علوى مصور للنيران وجد أنها امتدت من حدود معبد الكرنك إلى معبد أبيدوس بسوهاج وتطرفت شرقا وغربا بمحاذاة فرعى النيل ،وكأنّ نيزكا تفتت ونزل على هذه المناطق فأشعلها ببركان فوّار ،وبعد أسابيع عاد القطار الفاخر من جنوب البلاد وفيه تجمع العديد من السائحين والمصورين وأهل البلاد ،وكان منهم الصحفى المشهور مدعى الحسب والنسب والذى تقرب زلفا من أمراء الدرعية ،وفى آخر ذات العربة الفاخرة جلس المستشار بمجلس الدولة وعضو النادى الذى ظهرت حقيقة أصله وفصله ووقفا بجوار بعضهما وكان القاضى يتمتم بكلمات سابقة قالها له أحد الناس :

- إنك من نبت شيطانى لا قبر ولا بيت ،فاستفسر منه الصحفى عن سر الكلمات فذكر له أن ذاك الإنسان قال له :
- صاحب الأصل الزين يعرف قبر أبوه وناسه لسابع جد وسبعين ،وبيت أهله نابت فى الأرض من ألف ومئات السنين ،وأنت فين بيت أبوك وقبره من بين الناس وكرر قوله على نفسه
- وأنت فين بيت أبوك وقبره من بين الناس
- أنت لا قبر ولا بيت (وكان هذا القاضى ممن أحرقت منازل أهله وكل قبورهم لتفشى الدناسة فيهم ،وظل يردد :

- لا بيت ولا قبر ...لا بيت ولا قبر ،ثم ألقى بنفسه تحت عجلات قطار قادم من الجهة الأخرى فانشلت قدمى الصحفى ،ونظر لمنظر القبور المنبوشة وسعير النار فى البيوت النجسة ،وأخذ عقله يذكره بكل كذباته وادعاءاته بالنسب الأصيل والحسب الشريف ،وما إن دخل القطار المحطة وغادرها فوجد قبورناسه وبيوته فى وسط السعير

فوقف من شدة كذبه مدعيا أنه هو الحسيب النسيب وأخذ يهرول بين المسافرين ويتقافز بين عربات القطار وهو يردد عاليا :

- أنا الصحفى الأشهر مدير التحرير لأكبر صحيفة، الكل يعرفنى الجميع يتحاشانى الدوائر الرسمية داخل مصر وخارجها تتقرب إلىّ أن الحسيب النسيب أنا سليل .. (وقبل أن يكمل صده أحدهم بيده اليسرى ثم بصفعة يمين على خده) :

- أنت لسه هتكذب وتصدق نفسك ، بص هؤلاء أهلك وناسك رماد وتراب،رماد تحت النار أنت لا بيت ولا قبر ....وصاح فيهم جميعا :

- أنا... لا لا لا ....أنا لست منهم أنا لا بيت ولا قبر لالالالالالالالالالالا ،وفاجأه آخر أن دفعه ببطن قدمه فطار إلى أسفل عجلات القطار .

ووقف الجميع ينظرون ثم رددوا جميعا :

- كلب وغار..... نجاسة واتحرقت ؟

انتهت